الفهرس

ثمن العدد ٢ قرشان صاغاً

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتياز — الدكتور أحمد أمين بك

رئيس التحرير المسئول — محمد عبد الواحد خلاف بك

الإدارة

١٢ شارع سعد زغلول، القاهرة، تليفون ٤٢٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

العدد ٦٠٤ — الاثنين ٩ من شوال سنة ١٣٦٩ — ٢٤ من يوليه سنة ١٩٥٠ — السنة الثانية عشرة

لمحات عن تركيا وحالتها الاقتصادية

للأستاذ أحمد طه السنوسي

... ليس من العجيب أن ترى أن الحكومة التركية منذ أعوام قد وجهت وجهها شطر الزراعة بعد ما علمت أنها كيان البلاد وأن لا بلاد بدونها؛ فقد وزعت [illegible] من الأراضي بين المزارعين بين عامي ١٩٣٤ – ١٩٣٧ [illegible] لكل فلاح قطعة من الأرض له ولأولاده لا يشاركه فيها مشارك؛ فالتركي يتم عمله فيها بجد وحيوية دون حاجة إلى أي مزارع آخر ...

ولو أننا نظرنا إلى تركيا من حيث إنها بلد صناعي جديد لا شك أن نراها بلداً زراعياً قبل كل شيء، له من الميزات ما يكفل له أن يكون في مقدمة البلاد الزراعية.. فثمة أراض خصبة وتربة منبسطة إلى الجهاد والاستثمار، تحوطها البساتين والمروج المعشبة والمراعي والزروع بكثرة زاهرة لا جدب فيها إلا ما يعادل أربعة عشر في المائة من مجموع أرضها ...

وليس من شك في أن الإصلاح الذي تم بتركيا في الفترة القريبة الماضية بجهود جبارة خلقها التاريخ لجمهورية الأتراك، ولا ننسى أن زعيمها الأول مصطفى كمال، كان رجلاً محباً للأرض بفكره وجسده، فقد رأى أن تحسين الزراعة في البلاد وتوطيد دعائمها هو السلاح الناجع الذي يقوم لإصلاح الاقتصاد والمجتمع، [illegible] وضع استهدافاً لتنظيم الزراعة في العصر الحديث؛ ولم يكن مصطفى كمال فقط هو الذي اعتنى [illegible] بل إن الحكومات التي تلته قد وجهت [illegible] مكان هام في العالم الاقتصادي، [illegible] الحاصلات وفتحت ما أمكنها من البذور والسماد ومشاريع الري ومنح الأموال في سبيل الإصلاح الزراعي.

أما الآلات الزراعية كالمحاريث الخشبية والمناجل البالية فقد ذهبت إلى دارها تاركة تركيا الحديثة لتنعم بآلات عصرية تساعد الفلاحين وتشد أزرهم ولا تستحوذ منهم على الوقت الطويل أو المجهود الشاق..

ولقد أنشأت جامعة الزراعة أخيراً ما لا يقل عن عشرين مبنى لتعليم الزراعة والتدريب العملي والنظري، وتعد هذه المباني من أحدث المباني في العالم، ولا عجب أن تكون كذلك وهي التي أنشئت في سبيل رقي العلم وتنظيم الزراعة والعمل في إصلاحها وتمشياً مع الحضارة الحديثة والمبتكرات الاقتصادية ...

ولم يتسرب اليأس إلى وزارة الزراعة هنالك في أن تديم التجارب وتطبق الخطط والاستهدافات على وجهة

الأناضول ، هذه الهضبة التي كنا نظن أنها كامرأة عاقر فلا تخرج نباتاً ولا إنتاجاً . ولقد لاقت التجارب التي أجريت في الأعوام السالفة نجاحاً مطرداً في أن تزرع المحصولات المختلفة في أراضي تركيا ، ولقد زرع الشاي في ولاية رز حوالي عام ١٩٢١ وسواه من المحصولات الجديدة .

ولقد يعيش الفلاح عيشة الجد والاجتهاد إذا رأى حكومة تسعى لمصلحته ومصلحة مهنته وتشجيعها ، فلا غرو أن ترى فلاحي تركيا ينشطون نشاطاً عجيباً ويجدون كثيراً ، حتى إن محصول القمح بلغ ما يساوي محصول قارة استراليا بأكملها في عام ١٩٣٨ .

والحبوب بأنواعها النباتية من أهم محاصيل الزراعة في تركيا ، ونخص بالذكر من هذه الحبوب في هذا البلد القمح والطباق وكثيراً من أنواع الفاكهة والخضراوات والقطن ، وقد قامت صناعة رائجة قائمة على أساس البذور النباتية التي تستغل في صناعة الزيت ونحوه من المنتجات ..

وثمة معامل كثيرة في تركيا تقوم بالناحية الصناعية في البلاد ، فتستهلك أكثر الخامات التركية ، وقد ازدادت هذه المعامل وارتقت تبعاً لها الصناعة التركية المحلية ، ويستطيع المرء أن يعزو ذلك إلى الحكومة التركية التي بذلت جهودها في محاربة البضائع الأجنبية ، وذلك بطرق ووسائل شتى : منها زيادة الضرائب والرسوم الجمركية ، وكذلك الحدث الهام الذي به ألغيت امتيازات الشركات الأجنبية التي كانت تحتكر البلاد وتستولي على أموال الاقتصاديات التركية ...

أما الناحية المعدنية ، فتركيا من البلاد الغنية في هذه الناحية ، وذلك لكثرة المناجم والمعادن فيها ، كما أن الناحية الطبيعية لها دخل كبير في اقتصادياتها ، إذ توجد بها غابات وآجام تستغل في الحياة العملية هناك . كما أن هنالك حمامات كبريتية وفوارات معدنية في المصيف التركي المشهور الذي يدعى (بورسه) وهو الذي يبعد حوالي تسعين كيلومترا عن استانبول ، هذا فضلاً عن البساتين الرائعة في هذا المصيف الجميل ..

ولكن بالرغم من كل هذا فلدى تركيا كثير من المشاكل الاقتصادية التي تحاول حكوماتها أن تجد لها الحلول الكافية : فهنالك مشكلة الغلاء ، وأحكام الرقابة على الأسعار المختلفة ، وهذه المسائل هامة جداً بالنسبة للشعب والحكومة ؛ ونذكر من أمثلة الغلاء فيها أن أسراً تركية كثيرة لا تأكل اللحم إلا في المواسم والأعياد . كذلك هنالك مشكلة احتكار الحكومة لصناعة السكر . كما أن الأرياف التركية حالتها الاقتصادية منخفضة ، مما أدى إلى فقرها وبالتالي إلى سوء الحالة الصحية فيها وانتشار الأمراض بين ظهرانيها ؛ ويقدر من يقضي عليهم مرض السل في العام الواحد بنحو أربعين ألف شخص جلهم من الريف التركي ...

والملحوظ أن الحكومات التركية توجه اهتمامها الأول إلى الشئون السياسية والثقافية والحربية والاستراتيجية ، بيد أن المفروض أن تحتل الاقتصاديات الوطنية اهتماماً خاصاً ، لكي تتعاون النهضة الاقتصادية مع النهضات الأخرى ، فتصل بالبلد إلى غايتها وشأوها من الرقي ، بل إن النهضة الاقتصادية سبيل أولي للوصول إلى الغايات السياسية والحربية وما إليها .

وتتجه تركيا إلى طلب العون من أمريكا ، ولكن يجب أن يقتصر هذا الطلب على أن تقتبس تركيا من أمريكا النظم والتنظيمات الزراعية ، وأن تعمل جهدها في الأخذ بكل ما يلائم التربة التركية من المقتبسات الأمريكية ، كما تقوم تركيا باستقدام الخبراء والإخصائيين الأمريكان . ولا ننسى الآلات الزراعية الأمريكية فلها كل الفضل إذا استخدمتها تركيا ، ولن تشمل هذه المعونة الأمريكية الأخذ من منتجاتها أو قبول نتاجها الزراعي ؛ لأن ذلك شيء موقوت معرض ، لا يتحقق منه رقي البلاد إلا لماماً ، ثم تتخلف البلد ثانية عن ركب التطور الاقتصادي دون أن تنال من ذلك شيئاً ...

هذه لمحات خاطفة عن بعض الأحوال الاقتصادية في هذا البلد الشرقي الكبير الذي نرجو له الرقي في كل أحواله العامة ليتابع ركب الحضارة والتطور الحديث .

أحمد طه الشرعي

نشأة التاريخ الاسلامي والطبري

— ٢ —

للأستاذ علي أدهم

كان القرن الثالث الهجري من القرون الخصبة الحافلة في تاريخ الإسلام ، فقد نبغ فيه كثيرون من الشعراء والكتاب والمؤرخين واللغويين والنحاة والمحدثين والفقهاء ، وأينما أدرنا الطرف في ذلك القرن الثري نجد مؤلفات هامة وكتباً قيمة أصبحت في القرون التالية مراجع للبحث وأمهات في فروع المعرفة المختلفة ؛ وقد عاش في هذا القرن من الشعراء أمثال البحتري وابن الرومي وابن المعتز ، ومن الكتاب أمثال الجاحظ وابن قتيبة الدينوري ، ومن النحاة أمثال المازني وثعلب والزجاج ، ومن اللغويين أمثال أبي حاتم السجستاني والمبرد ، ومن المؤرخين أمثال البلاذري وابن طيفور واليعقوبي وأبي حنيفة الدينوري ، ومن أبرز رجال هذا القرن رجلان ممتازان ، وهما البخاري صاحب كتاب « جامع الصحيح » المشهور بصحيح البخاري ، والطبري صاحب التفسير الكبير وكتاب تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري ، وكانا كلاهما من كبار المحدثين .

وقد كان التاريخ في نشأته عند العرب نوعاً من أنواع الحديث ، ولما اتسع نطاقه وتكاثرت مادته وتعددت فروعه استدعى الأمر شيئاً من التخصص ، فاقتصر بعض المؤرخين على رواية الحديث ، وتجرد فريق آخر منهم لجمع الأخبار ومعرفة الحوادث السالفة ، وصار يطلق على المتخصصين في ذلك لفظة الأخباريين ، وكان الواقدي وابن إسحاق من الذين انتقلوا من الحديث إلى الأخبار ، وفي ابن جرير الطبري عاد التياران إلى الالتقاء ؛ فالطبري محدث كبير ، وأخباري من الطراز الأول ، وتوفر هاتين الصفتين في الطبري من الأسباب التي ساعدت على رفع مستوى المؤرخين عند العرب ، وأعادت إلى التاريخ اعتباره ، وجعلت جهابذة العلماء وكبار الفقهاء لا يتحرجون من دراسة التاريخ والتوافر على التأليف فيه والانقطاع له .

وقد ولد الطبري سنة أربع أو أول سنة خمس وعشرين ومائتين ، وكان مولده بآمل ، وهي قصبة طبرستان ، وقد روى لنا الطبري نفسه سبب تسمية البلاد التي نشأ بها « طبرستان » فقال : « جئت إلى أبي حاتم السجستاني ، وكان عنده حديث من الأصمعي عن أبي زائدة الشعبي في القياس ، فسألته عنه فحدثني به ، وقال لي أبو حاتم : من أي بلد أنت ؟ فقلت : من طبرستان . فقال : ولم سميت طبرستان ؟ . فقلت : لا أدري . فقال : لما افتتحت وابتدئ بناؤها كانت أرضاً ذات شجر فالتمسوا ما يقطعون به الشجر فجاؤوهم بهذا الطبر الذي يقطع به الشجر فسمي الموضع به[1] » .

وقد ظهرت قوة حافظته وشدة إقباله على طلب العلم من لدن صباه ، قال عن نفسه في خلال حديثه مع أحد أصحابه : « حفظت القرآن ولي سبع سنين ، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين ، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع سنين » ولما [illegible] الفطنة وتوقد الخاطر والإخلاص في طلب العلم والجد في تحصيله ؛ حرص على معونته على ذلك ، وكتب الطبري الحديث ببلده ، ثم بالري وما جاورها من البلاد ، وكان العالم الإسلامي حينذاك على اتساع رقعته وتراحب حدوده متصل الأسباب ، وكان التنقل في طلب العلم سهلاً ميسوراً ، فقصد الطبري مدينة السلام ، وهي حينذاك مثابة العلماء ، والمنهل العذب للوراد ، وأقام بها حيناً من الزمن يكتب عن شيوخها ويحضر مجالسهم ويستمع إلى مناقشاتهم وأحاديثهم ومساجلاتهم ، ثم انحدر إلى البصرة فسمع من كان بقي من شيوخها في وقته ، ثم صار إلى الكوفة ليستوفي سماع الأحاديث عن علمائها ، ثم عاد إلى مدينة السلام ولزم المقام بها مدة ، وتفقه بها ، وأخذ في علوم القرآن ، ثم غرّب فخرج إلى مصر وكتب في طريقه عن المشايخ بأجناد الشام والسواحل والثغور وأكثر منها ، ثم سار إلى الفسطاط

(١) وفي كتاب المعرب للجواليقي أن معنى « الطبر » بالفارسية الفأس ، وكذلك طبرستان كان الشجر حول مدينتها أشباً ، فلم يوصل إليه حتى قطع الشجر بالفؤوس .

وأكثر الكتابة عن علمائها، ثم عاد إلى الشام ورجع إلى مصر، وظهرت حينئذ قدرته في دراسة القرآن والفقه والحديث واللغة والنحو والشعر. وقد روى عن نفسه وهو بمصر فقال: «لما دخلت مصر لم يبق أحد من أهل العلم إلا لقيني وامتحنني في العلم الذي يتحقق به، فجاءني يوماً رجل فسألني عن شيء من العروض، ولم أكن نشطت له قبل ذلك، فقلت له: عليّ قول ألا أتكلم اليوم في شيء من العروض، فإذا كان في غد فصر إليّ»، وطلبت من صديق لي العروض للخليل بن أحمد فجاء به، فنظرت فيه ليلتي فأمسيت غير عروضي وأصبحت عروضياً»! وقد حاول الطبري أن يلم بأطراف المعرفة جميعها في عصره ويستوعبها استيعاباً، ويسّر له ذلك قوة ذاكرته وجودة فهمه ومثابرته وانصرافه التام للتحصيل وزهده في المطالب الدنيوية.

وعاد من مصر إلى مدينة السلام وهو يتابع الكتابة عن العلماء، ويحضر دروسهم، وواظب على ذلك ثم استقر به العلم في بغداد، واشتهر اسمه فيها، وشاع ذكره بالفهم والتقدم.

وكان الطبري على ما يظهر حراً في التفكير، صريحاً في إبداء رأيه، وكان للحنابلة في بغداد قوة وعدد وكثرة عددية، واتفق أن الطبري ألف كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء، ولم يذكر فيه أحمد بن حنبل، فسئل عن سبب ذلك فقال لأنه لم يكن فقيهاً وإنما كان محدثاً، فنكر ذلك على الحنابلة فثاروا عليه ورموه بمحابرهم، فقام ودخل داره فرموا داره بالحجارة حتى صار على بابه كالتل وركب صاحب الشرطة مع الجند لمنع عنه العامة، وأمر برفع الحجارة عنه. ويذكر ياقوت أن الطبري خلا بعد ذلك في داره وعمل كتابه المشهور في الاعتذار إليهم، وذكر مذهبه واعتقاده، وجرّح من ظن فيه غير ذلك، وفضل أحمد بن حنبل وذكر مذهبه وتصويب اعتقاده ولم يزل في ذكره إلى أن مات.

وقد نظر أبو جعفر في المنطق والحساب والجبر والمقابلة وكثير من فنون أبواب الحساب وفي الطب وأخذ منه قسطاً وافراً. قال عنه أحد معاصريه: إنه كان كالقارئ الذي لا يعرف إلا القرآن، وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه، وكالنحوي الذي لا يعرف إلا النحو، وكالحاسب الذي لا يعرف إلا الحساب، وكان عالماً بالعبادات جامعاً للعلوم.

وهذا العلم الواسع والمعرفة الغزيرة مع ثقته بنفسه وعلو همته جعلته يقدم على تفسير القرآن، ويضطلع بهذه التبعة الخطيرة. ولما هم بتفسير القرآن قال لأصحابه: «أتنشطون لتفسير القرآن؟» فقالوا: «كم يكون قدره؟» فقال: «ثلاثون ألف ورقة» فقالوا: «هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه»، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة، وقد وفق في تفسيره، ونال إعجاب العلماء الأعلام، وظفر بتقديرهم العالي.
والظاهر أن تفسيره القرآن اضطره إلى كثير من المراجعات التاريخية، وأوحى إليه فكرة كتابة تاريخ العالم. ولما انتوى ذلك بعد فراغه من التفسير شاور أصحابه فقال لهم: «أتنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟» فقالوا: «كم قدره؟» فذكر نحواً مما ذكره في التفسير، فأجابوه بمثل ذلك فقال: «إنا لله! ماتت الهمم» فاختصره في نحو مما اختصر التفسير.

وقد أفاد الطبري من المواد التي جمعها مؤرخو القرن الثاني، واتبع حركة النقل عن اللغات الأجنبية التي بدأت في ذلك القرن، واستعمل طريقة الإسناد التي جرى عليها رواة الحديث، وقد سار على طريقتهم في كتابه، واستطاع أن يجمع فيه مجموعة كبيرة من مختلف الروايات والأخبار التاريخية استوعبت كل ما تقدمها، وقد استطاع أن يربط بعضها ببعض ببراعة فائقة؛ وعيب الطبري الأصيل هو عيب مؤرخي العرب جميعهم، وهو أنهم لا يتجاوزون الوصف والسرد الطويل؛ ولم يفكر الطبري في تعليل الحوادث، ولم يحاول معرفة أسبابها، ولم يعمل على كشف البواعث العميقة المختفية التي تعمل وراء التغيرات الاجتماعية الظاهرة؛ وكان يكتفي بذكر الأسباب المباشرة، وهو في روايته للحوادث يكتفي كذلك بالتعويل على الإسناد دون أن يعرض النص نفسه على التفكير الخاص، ويزنه بميزانه ويخضعه لبحثه وتحليله؛ وهو يصارحنا بذلك في بساطة مستحبة فيقول في مقدمة كتابه: «وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول،

واستنبط بفكر النفوس ، إلا اليسير القليل منه ، إذ كل الذي بما كان من أخبار الماضين وما هو كائن من أنباء الحادثين غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم إلا بإخبار المخبرين ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس ؛ فمهما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا ، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا ، وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا » .

وهذه هي الطريقة التي انتقدها ابن خلدون في مقدمته وثار بها وخرج عليها وقال في التنديد بها : « إن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ، ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق ؛ وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً ، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار ، فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط ، ولا سيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات ، إذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر ، ولا بد من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد » .

وقد أخذ ابن خلدون على الطبري ذهابه إلى أن غزوات التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب قد امتدت إلى إفريقية والبربر من بلاد المغرب ، وقال إن هذه الأخبار بعيدة عن الصحة ، وعريقة في الوهم والغلط ، وإنها أشبه بأحاديث القصاص الموضوعة ، وذلك لأن ملك التبابعة إنما كان بجزيرة العرب وقرارهم وكرسيهم بصنعاء اليمن .

والأسلوب الذي اتبعه مؤرخو العرب بوجه عام في أكثر مؤلفاتهم التاريخية كان يضطرهم من بادىء الأمر إلى ممارسة نوع خاص من النقد التاريخي ، وذلك لأن التاريخ كان عندهم قائماً على الثقة بالشاهد الأول ، والاعتماد على صدق روايته ، وصحة إدراكه ، واستقامة أخلاقه ؛ وقد استلزم ذلك بذل مجهود ضخم في تحري سير أمثال هؤلاء الرجال الذين يصح الاعتماد على أقوالهم ، والأخذ برواياتهم ؛ وكان على المؤرخ أن يشعر نفسه الاطمئنان إلى هؤلاء الرواة بعد التحقق والتثبت . والظاهر أنه كان يجد أن الرواة ونقلة الأخبار والحفاظ أهل الثقة والرجوع إلى آرائهم متى عرفوا باستقامة الأخلاق وسلامة العقيدة والبعد عن الشبه والريب واشتهروا بالسمعة الطيبة وحسن السمت . أما نقد الرواية في ذاتها وتمحيصها فقد قصروا فيه تقصيراً واضحاً ؛ والنقد التاريخي بالمعنى الحديث لم يعرفه الواقدي ولا الطبري أو ابن قتيبة أو المسعودي ، ولم يقدر أهميته سوى ابن خلدون ، فهو الذي عرف مداه وأدرك طبيعته . والواقع أن الحاجة كانت ماسة إلى ممارسة هذا النوع من النقد التاريخي في القرن الثاني والقرن الثالث الهجريين ، فقد اختلطت روايات هذين القرنين [illegible] الكثير من الأوهام والخزعبلات والأكاذيب المصنوعة والأقاويل المزيفة ، وكان للعصبيات المختلفة والأغراض السياسية والمذهبية أثر واضح في ترويج بعض الروايات ، وزيادة [illegible] على الشائعات . وقد كان الطبري رجلاً واسع المعرفة غزير العلم ، مستقل التفكير ، وإني أرجح أن مثل هذا الرجل كان يغربل الروايات والأقاويل في صمت وسكون ، فيلقي ما يخالطه فيه الشك ، ويثبت ما يطمئن إليه ويراه جديراً بالثقة والتصديق ؛ فليس هو خابط عشواء ولا حاطب ليل ؛ فقد اعتمد على وثائق كثيرة وأحاديث وروايات وأخبار ممحصة إلى حد ما ، وفيها ما يدل على دقة النظر وصدق الحكم ، وقد أجاد عرضها ، وأحسن تنسيقها ، حتى أغنت عن الرجوع إلى ما كان قبلها ، وأصبحت مادة يستمد منها المؤرخون ، ويعتمدون عليها ، ويسيرون في أضوائها ؛ وقد مهد الطبري الطريق لمن جاء بعده من كبار مؤرخي الإسلام مثل المسعودي صاحب مروج الذهب ، وابن مسكويه مؤلف كتاب تجارب الأمم ، وابن الأثير واضع كتاب الكامل ، وأبي الفداء كاتب كتاب المختصر في تاريخ البشر ، وابن خلدون نفسه مؤلف كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر .

(البقية على صفحة ٩)

ظاهرة جديدة

الأستاذ حافظ أحمد أمين

ظاهرة جديدة ، تلك التي نراها هذه الأيام تملأ جميع الصحف والمجلات المصرية ، وتذاع في الأحاديث الخاصة والعامة ، ألا وهي تلك الموجة الواضحة من التشاؤم واليأس التي تظهر في كثير من المقالات والأحاديث ، سواء كانت سياسية أو اجتماعية .

هي ظاهرة واضحة تمام الوضوح ، تملكت الشباب قبل الشيوخ ، حتى إنك لا تفتح في هذه الأيام صحيفة من الصحف أو تسمع حديثاً ، أو تقرأ مقالاً ، إلا وتشم منه تلك الروح المتشائمة ، التي تنظر إلى حالة البلد وحوادثها نظرة كلها يأس وقنوط .

إذا أردت أن تعرف بعض مظاهر هذا السخط والقلق ، فيكفيك أن تفتح أي صحيفة من صحف الصباح أو المساء في هذه الأيام لتقرأ فيها أن طالباً من طلاب الجامعة قد ألقى بنفسه في النيل ، تاركاً وراءه رسالة يقول فيها إن الذي أودى به هو الأوضاع المشوهة والحقائق القاهرة ؛ أو لتقرأ فيها أن طالباً أراد قتل أستاذه ، أو أن بعض الطلبة في لجنة من لجان الامتحان أحسوا صعوبة الأسئلة ، فهاجوا وماجوا ، وكسروا الأدراج ومزقوا الأوراق ، وحاولوا إحراق اللجنة بما فيها ... أليس هذا هو القلق والسخط الذي إن دل على شيء ، فعلى أن الشباب قد كفر بالحياة .

ولا تقصر نظرك على التلاميذ وأعمالهم ، بل انظر أيضاً إلى سخط الموظفين ويأسهم من تحسين حالتهم وكفرهم بكل كاذب وتيسير ، هذا الكفر الذي جعلهم يتفننون في اكتشاف أصناف جديدة من الرشاوى والسرقات ، حتى أصبحت الأوراق لا تمر ، والخدمات لا تحل ، إلا إذا قدمت معها ما يلزم أن يقدم .

ثم انظر بعد هذا إلى ضباط الجيش وجنوده ، الذين فقدوا ثقتهم بأسلحتهم ومورديها ، وطالبوا المسئولين بالبحث عن المتهمين الذين كانوا من أهم أسباب الفشل في حرب فلسطين ، فلم يجدوا غير آذان صمت عن الاستماع .

لن أتمادى في ضرب الأمثلة وعرض النماذج ، فيكفيك أن تقرأ الحوادث في الصحف وتسمع الأحاديث في المجالس ، لتخرج بمئات من هذه الأمثلة والنماذج ، ولكني أريد أن أتساءل : كيف أتت هذه الموجة من القلق ؟ وما سبب انتشار هذه الروح من اليأس ؟ .

والسبب في ذلك هو أن الشعب قد شعر — منذ وقت ليس بالقصير — بجهله ومرضه وفقره ، ورأى أن من حقه على الحكومات أن يتعلم ، وأن يدرك طعم الشبع والعافية ، ثم حاول أن ينهض ، وأن ينفض من فوقه هذا البؤس وسوء الحال ؛ فإذا هو يصطدم بحقيقة مؤلمة ، وهي أن السلطان في مصر ليس في يد الشعب ، ولا في يد ممثل الشعب ، إنما هو في يد الإنجليز وأعوان الإنجليز ، وهؤلاء لهم من القوة الهائلة [illegible] ما لا يستطيع مقاومتها إلا إذا اتحد ... وكيف يتحد وهو شعب ممزق ، تنقصه الأخلاق والتربية ، والأجانب من حوله يحاولون هدمه واستغلاله ، وأسوأ من الأجانب ، كبراء الشعب وحكامه ، الذين اشتركت مصالحهم مع مصالح المستعمر ، وأخذوا في استغلال الشعب من غير محاولة جدية لإصلاحه ؛ فإن حاولوا عمل شيء للشعب فعن طريق الارتجال ، واتخذوا المشروعات الفاشلة وسيلة للتنافس بينهم ، والدعاية لأحزابهم ، فوقفت كل الأعمال النافعة ، اللهم إلا ما كان منها نافعاً بالنسبة لهم ولأنصارهم .

ولما انتشر الفساد والظلم ، وذهبت خيرات البلاد إلى أيدي المستعمر وأتباع المستعمر ، انخفض مستوى المعيشة في مصر ، وزاد الغلاء ، واستفحل أمره ، فمد الموظف يده لأصحاب الحاجات ، فانتشرت الرشوة والسرقات ، كما مد المدرس يده للطلبة ، فانتشرت الدروس الخصوصية وبيعت الامتحانات ، وفقد الطلبة احترامهم لأساتذتهم بعد أن فقدوا الثقة بحكامهم وكبرائهم .

كل هذا نراه فى الوقت الذى تنتشر فيه مبادئ جديدة تعم البلاد ويؤمن بها الشباب وغير الشباب . وللأسف كان من هـذه المبادئ الجديدة التى غزت مصر مبادئ مادية ، صبغت الشعب بصبغة من الوصولية والاستهتار ، هذه المبادئ وقعت على شعب ضعيف غير مستقر فكان لها من الأثر السيء ما نراه الآن .

هذا هو ماوراء الشعب ، ومع ذلك فقد ظل شعباً مجاهداً متفائلا ، إلى أن جاءت الصدمات المتتالية ، والنكبات الواحدة بعد الأخرى : من مأساة فلسطين ، إلى هـذه المفاوضات التى لا تبشر بجلاء أو بوحدة ، إلى هـذه المحاولات للحد من الحريات وكبت الألسنة والأقلام .

هذه هى الحال التى سببت كل هذه الموجات من السخط والقنوط ، وهـذه هى أهم الأسباب التى جعلت كل مصرى ينظر ليرى الشر قد بلغ فى كل ناحية من نواحى الحياة غايته ، فلم يسعه إلا أن يذعن له ويسترسل فيه .

بقى دور المصلحين والموجهين ، الذين نرجو أن يكونوا الفئة التى ارتفعت فنجت من هـذه الموجة من اليأس ، والذين هم الفئة التى يحتاج إليها الشعب فى هذه الأيام ليعرف نوع مرضه وكيفية العلاج ، وليستمد منها الدواء لهذا الداء الوبيل .

حافظ أحمد أبوبه

نشأة التاريخ الاسلامى والطبرى

(بقية المنشور على صفحة ٧)

وأسلوب الطبرى عربى أصيـل يجمع بين السهولة والجزالة والوفاء بالغرض من أقرب سبيل ، وفى تصويره للحوادث وضوح وقوة ، وقد مكنته سعة اطلاعه على الأدب وأشعار العرب من أن يرصع كتابه بمجموعة صالحة من القصائد البديعة ، والمقطوعات الرائعة ، والخطب البليغة والأقاويل الحكيمة ، وهو لا يعرضها فى بذخ وإسراف ، وإنما يذكرها فى مناسبتها ، وينزلها منازلها اللائقة ، فيشئ بها جوانب التاريخ ، ويجلو بها غوامض الحوادث .

وقد عزا إليه ياقوت فى معجمه بعض أبيات من الشعر ، منها قوله فى تصوير إبائه وذكر قناعته ووفائه :

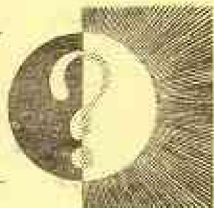
إذا أعسرت لم أعلم رفيق وأستغنى فيستغنى صديق
حيائى حافظ لى ماء وجهى ورفقى فى مطالبى رفيق
ولو أنى سمحت ببذل وجهى لكنت إلى الغنى سهل الطريق

وأبرز ميزة فى هذه الأبيات هى ميزة الصدق ، فهكذا عاش الطبرى منقطعاً للعلم ، مثابراً على طلبه ، متقللا متقشفاً ، قانعاً بما كان يأتيه من مال ضيعة ورثها عن أبيه ؛ وقد وجه إليه مرة محمد بن عبيد الله الوزير بصرة فيها عشرة آلاف درهم وكتب معها رقعة وسأله أن يقبلها ، وقال للذى حملها إليه : « إن قبلها وإلا فسله أن يفرقها فى أصحابه ممن يستحق » فلما دخل عليه الرسول وأوصل إليه الرقعة امتنع من قبول الدراهم ، ولما قال له الرسول : « فرقها فى أصحابك على من يحتاج إليها ولا تردها » أجابه الطبرى : « هو أعرف بالناس إذا أراد ذلك » .

ومع طول معاناته للدراسات الجدية ومعالجة التأليف فى المسائل الصعبة التى تستغرق الجهد وتعنى النفوس وترهق الأعصاب ظل محتفظاً بهدوء النفس وصفاء الخاطر وطيبة القلب ، وقد ترك أثراً جميلاً فى نفوس عارفيه ومنافسيه ؛ وقد وصفه أحد الآخذين عنه فقال : « كان أبو جعفر ظريفاً فى ظاهره ، نظيفاً فى باطنه ، حسن العشرة لجالسيه ، متفقداً لأحوال أصحابه ، مهذباً فى جميع أحواله ، جميـل الأدب فى مأكله وملبسه وما يخصه فى أحوال نفسه ، منبسطاً مع إخوانه ، حتى ربما داعبهم أحسن مداعبة ، وكان إذا أهدى إليه مهد هدية مما يمكن المكافأة عليه قبلها وكافأه ، وإن كانت مما لا يمكن المكافأة عليه ردها واعتذر إلى مهديها » .

وكان صاحب هذه النفس النبيلة والروح السامية رجلا أسمر إلى الأدمة أعين نحيف الجسم مديد القامة لم يغير شيبه حتى وافته المنية يوم السبت لأربع بقين من شوال سنة عشر وثلثمائة ، وقد فرغ من تصنيف كتابه فى التاريخ يوم الأربعاء لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثمائة وقطعه على آخر سنة اثنتين وثلاثمائة ، وربما كان الطبرى والجاحظ وابن حزم الظاهرى أغزر المؤلفين إنتاجاً فى تاريخ الأدب العربى برمته .

على أدهم



نبات «ندى الشمس»

الإنسان يحس، والحيوان يحس، وهذا نبات له قوة إحساسية هائلة!

الأستاذ جمال الدين محمد موسى

الإحساس:

ما هو الإحساس ؟؟.

وهل هذا الشعور يقتصر على الإنسان أم هو عام بين جميع المخلوقات، سواء في مملكة الحيوان أو في مملكة النبات ؟؟.

هذه التساؤلات تتطلب منا أن نلاحظ تصرفات المخلوق لما حوله من المؤثرات وطرقه للمجابهة المختلفة.

الحيوان يحب ويكره:

وإننا نجد في أبسط أنواع الحيوان حركات تدلنا على أن هذا المخلوق يحب ويكره، وأن هذا الشعور بالحب أو الشعور بالكراهية كامن في أعماقه، فحين يحس الحيوان بالجوع ويبدأ في تناول طعامه فإنه يختار من بين الحبيبات المختلفة الموجودة في متناوله نوعاً خاصاً، بينما ينبذ الآخر.

كذلك نجد المخلوق يتأثر بالضوء أو الحرارة، وبملامسة أجسام أخرى سواء كانت حية أو ميتة.

هذه القوة الحيوية التي تستجيب للعوامل التي تؤثر في أنسجة الحيوان هي ما ندعوه بالإحساس...

هل الأعصاب ضرورية؟:

ويبتدئ هذا الشعور بكل وضوح في الحيوانات الراقية التي يوجد بها جهاز عصبي كامل، ولكن لا يمكننا أن نقول إن وجود الأعصاب ضروري لكي يحس الحيوان ...

النبات يحس:

وليس الإحساس مقصوراً على عالم الحيوان، بل يتعداه إلى عالم النبات أيضاً. وما أكثر الدهشة التي تحسها حين تلاحظ [illegible] النبات الذي يدعى باسم «ندى الشمس» أو «الدروزيرا»، تلك الحركات التي تدلنا بكل وضوح على أن هذا النبات يحس، وأنه قادر على أن ينقل المؤثرات إلى الأعضاء المختلفة فتتحرك استجابة لتلك العوامل الخارجية...

ورقة «ندى الشمس»:

وإذا نحن فحصنا ورقة هذا النبات ألفينا أنها تشبه في شكلها صحن الفنجان، ويوجد على سطحها غدد قصيرة، وتحف بمحيطها زوائد تنتهي كل منها بغدة — هذه الغدد تفرز سائلاً لاصقاً يبدو على السطح على شكل نقط تلمع في ضوء الشمس كأنها نقط من الندى، ومن هنا جاءت تسمية النبات باسم «ندى الشمس» ...؟!.

غذاء غريب:

ويتغذى هذا النبات على أجسام الحشرات التي تمسك بهذا السائل اللاصق الذي تفرزه الغدد على سطح الورقة، وتمنعها من الهرب الزوائد التي توجد على الحافة والتي لها

الغالبية على الحركة تنحني إلى الداخل حتى تحصر الحشرة وتسجنها . وهنا تنشط الغدد للعمل حتى تغرق الفريسة في إفرازها فتختنق وتموت . وعندئذ تصب عليها رحيقاً هاضماً يهضم أنسجتها ولا يبقى إلا أن تمتصها خلايا الورقة ...

إحساس واستجابة للمؤثر :

من هنا نجد أن هناك إحساساً ، وأن هناك نقلاً للمؤثر وأن هناك استجابة ... فالحشرة قد وقعت أسيرة في قلب الورقة بهذا السائل اللاصق الذي تلمع نقطه في الشمس كأنها الندى ؛ وأحست بها الخلايا ، وانتقل الأثر إلى الزوائد الخارجية ، فكأنها إشارة من اللاسلكي تقول : « أيتها الزوائد ، أسرعي وانحني إلى الداخل ، وحاصري هذه الفريسة التي أسرناها ، والتي تجاهد للتخلص من ذل الأسر والعودة إلى حياة الحرية ... » .

فإذا بالزوائد تستجيب للنداء وتنحني إلى الداخل وتحصر الحشرة قاطعة عليها سبيل الفرار ...

وإذا وضعت الحشرة على غدة في نهاية إحدى الزوائد فإن هذه الزائدة تنحني أيضاً حيث تنقل الحشرة إلى قلب الورقة ثم يتم ما رأيناه من قبل ...

الأعجب والأدهش :

ولكن أعجب وأدهش ما يلاحظ أن الحشرة إذا أسرت بالسائل اللاصق في سطح الورقة في غير مركزها ، فإن الإشارة التي تنقل تبلغ موضع الحشرة فتستجيب كل الزوائد القريبة وتتحرك تجاه موضع الحشرة في دقة مدهشة ...!!

ما هو السر ؟ :

هذا النقل للمؤثر من أعجب ما يمكن ! لأننا لا نجد كما تبين لنا قوة إبصارنا أي عضو خاص ينقل المؤثر ، وحقيقة أن التيارات التأثيرية يمكنها أن تنتقل بسهولة خلال عروق الورقة ، ولكن في هذه الحالة حين تتجه الزوائد في دقة عجيبة تجاه نقطة معينة بالذات في سطح الورقة لا يمكننا أن نقول إن المؤثر قد انتقل خلال العروق .. لأنها قليلة العدد . وزد على ذلك أن التأثير يمكن أن يسري بكل دقة وتستجيب الزوائد هذه الاستجابة العجيبة ، وتتحرك حركتها الساحرة لو قطعنا خلال العروق ...!!

ظاهرة أخرى عجيبة :

هذه القوة الهائلة على نقل المؤثر تظهر بكل وضوح في ظاهرة أخرى عجيبة ...

لو وضعت قطعة من اللحم في مركز الورقة ، فإن الزوائد الخارجية كما قلنا من قبل تنحني إلى الداخل ، وفي النهاية تلمس قطعة اللحم . ولكن الشيء العجيب أن الغدد في نهاية الزوائد إذا اختبرت قبيل ملامستها لقطعة اللحم لوجد أنها مغطاة بإفراز حامضي ، مما يدل على أن التأثير قد انتقل لا إلى الجزء القابل للحركة من الزوائد ، بل أيضاً إلى الخلايا الإفرازية للغدد ...!!

ما أشبهها بغدد اللعاب :

هذه الحالة شبيهة بحالة الغدد اللعابية في فم الإنسان ، فهي تفرز اللعاب في حالة وضع الطعام في الفم أو فقط بمجرد تحريك عضلات الفم ، وإن لم يكن هناك طعام لكي يتعب هذا الإفراز ، تماماً كما تفرز غدد الدروزرا إفرازها الحامضي أثناء حركة الزوائد قبل أن يوجد أي طعام ليهضمه بالإفراز ، وكأن الزوائد يسيل لعابها حين ترى الطعام من بعيد في مركز الورقة قبل أن تلامسه ...!!

احساس فائق

وإن هذه الغدد التي توجد على أطراف الزوائد الخارجية قوة إحساسية هائلة ، فقد وضع على إحداها قطعة متناهية في القصر من شعرة إنسان لا يزيد طولها على جزء من الألف من البوصة ، وتزن حوالي جزء من ثمانية آلاف من وزن الحبة . هذه الذرة من الشعر سببت حركة بينة واضحة في الزائدة ...!!

وإذا نحن دققنا في هذا الأمر لألفينا أن تلك الذرة مغمورة جزئيًّا بنقطة الإفراز الندي على طرف الزائدة ، وعلى ذلك فلا مبالغة إذا قلنا إن الغدة يمكنها أن تحس وتشعر بوجود جسم لا يزيد وزنه على جزء من المليون من وزن الحبة ...!!

أقرب إلى حاسة الشم :

هذه الدرجة من الحساسية هي بلا شك في غاية الغرابة . وإنها لتبدو لنا أقرب إلى حاسة الشم منها إلى حاسة اللمس ، فإن هذه الذرات لا يمكن للساننا أن يحس بوجودها وهو أرهف عضو لامس لدينا ...

إحساس آخر :

ولعل قوة الدروزيرا على الشعور بوجود الشادر أكثر إبداعاً وروعة ، فإن محلولاً من فسفات الأمونيا في الماء المقطر بنسبة جزء إلى مليون جزء من الماء سيبب تغيراً في شكل الزوائد ...!!

التمييز بين المؤثرات :

من هذه الحقائق أمكننا أن ندرك مدى القوة الإحساسية للنبات . ولكن هناك قوة أخرى رائعة وعجيبة أيضاً يتميز بها الدروزيرا ، وهي قوة التمييز بين الأنواع المتباينة من المؤثرات . ويتبين هذا مما يلي ...

تبعاً لما لمسناه آنفاً من القوة الإحساسية الهائلة لزوائد الورقة ، لنا أن نتوقع أن أقل لمسة لها ينتج عنها الانحناء ، ولكن ليس هذا بصحيح ... فلو لمست إحدى هذه الزوائد لمسة واحدة سريعة ، لمسة قد تكون من القوة بحيث تكفي لانثناء الزائدة بأكملها ، فإننا لا نلاحظ — برغم ذلك — تغيراً في الشكل ...!!

ومعنى هذا واضح جلي ! ففي الجو العاصف لا يحدث أن تتعرض تلك الغدد للمسات عديدة من أعواد الحشيش القريبة المتمايلة مع الريح ! وإنه ليكون مجهوداً ضائعاً أن تنحني الزوائد ثم تعتدل لدى كل لمسة من هاته اللمسات . فهي لا تتأثر إلا بالضغط الدائم أو إذا لمست لمسات سريعة متلاحقة .. وهذا أيضاً واضح المعنى ، فحين تأسر حشرة بالسائل اللاصق الذي تفرزه الغدة فإن وجود الحشرة ينتج عنه ضغط متصل أو عدة ضربات للغدة الحساسة فتنحني الزائدة .

ولو تمكنت الحشرة من الفرار بعد أول ضربة أو محاولة فإن الزائدة لن تنحني كما قلنا ، وهكذا توفر على نفسها مجهود الانحناء ثم الاعتدال لغير ما فائدة تجنى ...

فما أبدع هذا وما أروعه وما أجل عظمة الخالق البارئ المصور ..!!

* * *

نبات آخر :

وهناك نبات مفترس آخر يدعى « ديونيا » قال عنه داروين إنه أعجب نبات في العالم ... هذا النبات نجد تخصص حاسته عكس الحالة التي رأيناها في « ندى الشمس » ، فالأجزاء الحساسة لا تتأثر إذا وضعت فوقها باحتراس أجزاء ثقيلة نسبياً من شعرة إنسان ، في حين أن أخف لمسة بخيط من القطن تسبب انحناء الورقة ...

جهاز الورقة :

وورقة هذا النبات تتكون من فلقتين بينهما ما يشبه المفصلة على طول العرق الكبير الذي يمتد في الوسط ، ولكل فلقة أسنان خشنة على حافتها ، كما توجد على السطح العلوي لكل منها ثلاث شعرات دقيقة حساسة تسمى « الشعرات القابضة » وهي للورقة بمثابة الزناد للسلاح .

طريقة الاقتناص الصامتة :

والطريقة التي يقبض بها نبات « الديونيا » على فريسته هي طريقة الاقتناص الفاجئ ، أو الصاعق ، كما هو الحال في مصيدة الفأر ! فليس هناك سائل لاصق لكي يمسك الحشرة حتى تنحني الزوائد في بطء ، وتعصر الحشرة كما هو الحال في ندى الشمس ! بل إن الفرصة الوحيدة لدى النبات هي أن أن تقفل الورقة في التو واللحظة لدى أخف لمسة ... فحين تلمس أية حشرة إحدى الشعرات القابضة تنضم الفلقتان في لمح البصر وتتداخل أسنانهما وتتماسك فتطبق على الحشرة المرعوبة .. وعندئذ تهضم وتمتص ..

وهذا التخصص في الإحساس في نبات الديونيا ضروري لكي يتمكن من أن يحصل على غذائه ويتم في أحسن وجه قبضه على الفريسة ...

* * *

وبعد إن هذه الأمثلة المتباينة على الحساسية وقوة التمييز بين المؤثرات بالرغم من عدم وجود أية أعضاء تشابه الأعضاء الحسية في الحيوان ، يجعلنا نقول إن هذه الخاصية كخاصية الحركة موروثة في المادة الحية ...

كما يزيد من إيماننا بعظمة الكون وعظمة الطبيعة وعظمة الله ...!!

جمال الدين محمد مرسي

القهوة مشروب عالمى (*)

ترجمة الأستاذ عبد البارى نعمت

إن تناول قدح من القهوة الساخنة ذات البخار المتصاعد هو ضرورة لا بد منها فى وقت الإفطار لغالبية الأشخاص البالغين فى الولايات المتحدة الأمريكية ، كما أن شرب عدد كبير من هذه الأقداح خلال النهار يزيد كثيراً من بهجة الحياة ومسراتها .

ولكى يستطاع تقديم الكميات الكبيرة اللازمة من هذا الشراب الشهى أصبح البن من أهم المنتجات اللازم توريدها إلى هذه البلاد ؛ وإن عملية استيراده وتجهيزه وبيعه لتخلق أعمالاً وتكون مصدراً لأرزاق مئات من الناس ، كما يشمل الأثر الاقتصادى الناشىء عن ذلك آلافاً آخرين .

وقد ظل البن ضمن المواد الست الأولى فى قائمة واردات الولايات المتحدة مدى سنين عدة ، وما وافت سنة ١٩٤٧ حتى أصبح على رأس هذه القائمة ، وقد بلغت قيمته أكثر من ١٠ ٪ من قيمة جملة الواردات المقدرة بمبلغ ٠٠٠ ر٥٠٠ ر٦٤٨ ر٥ ريال ، وقد آن وقت خلال السبع والأربعين سنة الأخيرة فاقت فيه قيمة الواردات من المطاط والحرير الخام والجلود والصوف قيمة الوارد من البن ، ومع ذلك فهو دائماً من ألزم واردات البلاد وأهمها شأناً .

ويقدم البن أساس التعامل مع كثير من ولايات أمريكا اللاتينية ، إذ يقدم العملة الأجنبية اللازمة لدفع قيمة صادرات الولايات المتحدة الأمريكية ، وتمثل قيمة صادراته بالنسبة لكثير من البلاد التى تنتجه أكثر من نصف القيمة الكلية لجميع الصادرات ؛ فهو بالنسبة لكولمبيا وسلفادور مثلاً يمثل ثلاثة أرباع القيمة الكلية لصادرات كل منهما ، وبالنسبة لكوستاريكا يمثل ثلثى القيمة ، فى حين أنه بالنسبة للبرازيل وهى أكبر منتجيه يمثل ٣٥ ٪ فقط من القيمة الكلية للصادرات .

ولو أن النصف الغربى من الكرة الأرضية هو خير منتج للبن وخير مستهلك له فى الوقت نفسه إلا أن شربه شائع أيضاً فى مختلف أنحاء العالم الأخرى . وفى السنوات السابقة على الحرب الأخيرة ابتاعت دول أوربا الغربية كميات هائلة منه وفاق استهلاك الفرد الواحد فى بلاد شبه جزيرة اسكندناوا استهلاك الفرد الواحد فى الولايات المتحدة نفسها .

وموطن البن الأصلى هو بلاد الحبشة ، وربما كانت بلاد العرب هى ذلك الموطن ؛ وتخبرنا الأساطير أن تأثير البن عرف لأول مرة فى بلاد العرب وكان ذلك وليد المصادفة ، فقد لاحظ أحد رعاة المعز أن المعز التى فى رعايته بعد أن أكلت أوراق شجيرات البن وحبوبها بدا عليها المرح وأخذت تتواثب بهجة وسروراً ، مما حمل الراعى على تجربة ذلك فتعاطى الحبوب بنفسه .

وبدأ استعمال حبوب البن فى بادىء الأمر كدواء ثم استعملت بعد ذلك كغذاء ، ثم لجأ الناس بعد ذلك إلى غليها لاستخراج شراب منها . ونشأ قلى البن أى تحميص حبوبه كما تخبرنا الأساطير أيضاً من محاولة العرب الاحتفاظ باحتكار زراعته ، فإنهم كانوا قبل تصدير حبوبه إلى الخارج يعمدون إلى معالجتها بالتسخين لقتل قوة إنباتها .

وسرعان ما صارت القهوة أى الشراب المستخرج من البن مشروباً مألوفاً فى جميع الأقطار التى تتكلم العربية ، وما زال الأمر كذلك حتى اليوم ، ومن بلاد العرب انتقلت

(*) مقال بعنوان Caffee, A Popular World Beverage بقلم Kathryn H. Wylie فى عدد نوفمبر سنة ١٩٤٨ من مجلة Foreign Agriculture, U.S.A.

حبوب البن إلى بلاد الشام أجمع وخصوصاً إلى بلدان أوربا ، وقد كان رجال الكنيسة في أوربا غير مطمئنين على نشر عادة تناول مشروب القهوة لا تخفقوه من الأذى ، إذ لاحظوا فيه خاصية إبعاد النوم عن أجفانهم سواء عند نهوضهم الباكر في الصباح أو أثناء سهراتهم المتأخرة في الليل لتأدية طقوس العبادة ؛ وما حل القرن السابع عشر حتى انتشرت المقاهي في جميع أنحاء أوربا وأصبحت مراكز يتجمع الناس فيها للتحدث في شئونهم السياسية والاجتماعية ؛ وفي ذلك الوقت أرسلت إلى المستعمرات الجديدة بأمريكا الشمالية كميات قليلة من البن ، ومنذ سنة ١٧٧٣ حلت القهوة محل الشاي كمشروب شعبي بأمريكا .

يرد معظم إنتاج العالم من البن من بلاد نصف الكرة الغربي ، ولو أن شجيراته تنمو في كثير من البلاد الواقعة في حدود المنطقة التي تمتد من خط عرض ٢٨ درجة شمالا إلى خط عرض ٣٨ درجة جنوبا ، وتشمل موطنه الأصلي أي الحبشة وبلاد العرب ؛ وتعتبر البرازيل في الوقت الحاضر أكبر البلاد المنتجة للبن ، وتليها في ذلك الشأن كولومبيا ؛ وقبل الحرب العالمية الثانية كانت جزائر الهند الشرقية الخاضعة لهولندا في ذلك الحين تلي كولومبيا في الترتيب ولكن توقفت صادراتها منذ سنة ١٩٤١ .

وبدأ البن يلعب دور محصول البرازيل الرئيسي في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر ، ولو أن شجيراته زرعت في بادئ الأمر بإقليم بارا (Para) إلا أن أحسن مراكز الإنتاج يقع في جنوب البلاد ، ويتركز على الخصوص في ولايات (Sao Paulo) و (Minas Gerais) و (Parana) و (Espirito Santo) و (Rio de Janeiro) .

وقد زاد عدد أشجار البن زيادة مطردة منذ الخمسين سنة السابقة على سنة ١٩٣٤ ، وبلغت الزيادة ذروتها عندما وصل عدد الأشجار إلى ثلاثة بلايين شجرة (البليون = ألف مليون في أمريكا وفرنسا ومليون مليون في انجلترا) ولكن ما حلت سنة ١٩٤٦ حتى هبط عدد الأشجار إلى بليونين .

إن كمية المستهلك من البن قد زادت زيادة مستمرة سواء من ناحية جملة الاستهلاك عموماً أو من ناحية استهلاك الفرد الواحد طوال السنوات الأربعين الماضية ؛ ولنستثن من ذلك المدة التي شملتها الحربان العالميتان الأخيرتان ، وكان أكبر نصيب للفرد من هذا الاستهلاك ببلاد المنطقة المعتدلة الشمالية حيث يكون الطقس بارداً في جزء كبير من السنة ، وتقع في حدود هذه المنطقة بلاد شبه جزيرة اسكنديناوا وبلاد غربي أوربا وكذلك الولايات المتحدة .

وتعتبر الولايات المتحدة خير عميل لدول إنتاج البن فهي تستورد في بعض السنين ما يزيد على نصف الكمية المصدرة منه ، وكان يصل إليها قبل الحرب الأخيرة ٥٥ ٪ من صادرات البرازيل و ٧٧ ٪ من صادرات كولمبيا ، وقد ارتفعت هاتان النسبتان أثناء الحرب العالمية الثانية إلى ٨٣ ٪ و ٩٢ ٪ من التوالي . وتأتي بلدان غرب أوربا في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة ، وكانت ألمانيا وفرنسا وهولندا ومجموعة الدول الاسكندنافيه أكثر الدول استيراداً للبن قبل الحرب ، ولكن لما انسحبت ألمانيا من السوق كلية كانت الشحنات المرسلة إلى دول أوربا إلى أقل حد ، وبذلك صارت بعض جمهوريات أمريكا الجنوبية الوسطى أسواقاً مهمة .

وفي سنة ١٩٤٦ عادت أوربا إلى السوق ثانية وبلغ ما أرسلته إليها البرازيل أكثر من ١٩ ٪ من جملة صادراتها ، وكانت واردات البن إلى الولايات المتحدة في زيادة مطردة منذ سنة ١٨٥٠ ، وقد فاقت نسبة هذه الزيادة نسبة الزيادة في عدد السكان ، وكانت البرازيل هي المصدر الرئيسي إلى سوق الولايات المتحدة ؛ وفي سنة ١٨٠١ وهي السنة التي سجلت فيها أول شحنة من البن تدخل هذه البلاد بلغ وزن هذه الشحنة (٥٣٢ رطلا) ولكن وزن الشحنة قد بلغ الذروة في سنة ١٩٤٥ إذ وصل إلى ٥٫١ بليون رطل .

عبد الباري محمد

محنـــــة الامتحان

الأستاذ حسن محمد حسين

وأخيراً أراد الله وشحت الظروف فأشرق علينا ذلك القلم الموهوب قلم الفيلسوف الأديب الدكتور زكي نجيب محمود ، بإحدى مقالاته الشائقة بعد احتجاب دام خمسين يوماً ، استكان فيها هذا القلم واستسلم للقدر المحتوم الذي لا مفر منه ، لكن هذا القلم المحبوب قد جرى بما أثار في النفس شجوناً .

في مثل هذه الأيام من كل عام تجد أقلام مئات من زملاء الدكتور الفاضل في الجامعات المصرية ، بل وأقلام آلاف من شركائه في مهنته الشريفة بمراحل التعليم الأخرى ، تجد هذه الأقلام وذلك في محنة أعمال شاقة ، من وضع امتحانات وطبعها ، ثم تصحيح إجاباتها ، وتقدير درجاتها واستخراج نتائجها . تظل هذه الأقلام تعمل جاهدة في تسجيل وتقييد ما يدور في هذه الأدمغة الفتية المفكرة أسابيع طوالا ، وهي في ذلك مطالبة بالمطاوعة والتحري مع السرعة ، مجهود شاق في عمل جدي أقل ما يوصف به أنه عنصر هام في تقرير مصاير شباب الأمة ومستقبل كل منهم ، كما قد يوصف بأنه يقرر المستقبل القريب للأمة نفسها على يد قادتها وحكامها من هؤلاء الشبان أنفسهم بعد ربع قرن أو أقل قليلا أو أكثر قليلا .

يتفانى الأستاذ في وضع امتحان في مادته متوخياً غاية الإتقان لقياس مواهب الطالب وتحصيله في هذه المادة . ثم يقوم الطالب بالإجابة على هذا الامتحان ، فيتسلم الأستاذ إجابته ويسهر على تصحيحها تصحيحاً دقيقاً غاية الدقة ، ويخرج منه الطالب بدرجة معينة أو تقدير خاص . وهكذا الحال مع كل واحد من زملائه الأساتذة الآخرين ، كل يعمل جاداً في ناحيته لتقدير مستوى الطالب في مادته . ثم تضم هذه التقديرات بعضها إلى بعض وفقاً لنظام خاص يتفاوت في الأماكن المتفاوتة ، كما يختلف غالباً في الأزمنة المختلفة . يسفر هذا الضم عن تقدير عام للطالب ، فإذا هو راسب أو ناجح . والرسوب درجات مختلفة ، كما أن النجاح طبقات متباينة .

يحدد الأستاذ على ورقة الطالب تقديراً يكون بمثابة حكم عليه . هذا الحكم ، إن جاء في غير صالحه ، قابل للاستئناف الذي ينظر ويصدر الحكم فيه بعد شهرين أو ثلاثة أشهر في امتحان الدور الثاني . وحكم الاستئناف ، إن جاء مرة أخرى في غير صالح الطالب ، أمكن نقضه بعد سنة دراسية أخرى .

ولكن هل هذا الأستاذ بعد كل هذا الإتقان في وضع الأسئلة وهذه الدقة في تصحيح الإجابات ، هل هو راض كل الرضا ، مطمئن إلى الارتياح إلى حكمه النهائي ؟ لا أظن ذلك .

الامتحانات في الواقع كلها غموض في غموض . ولا أعدو الحقيقة إذا قلت إنها غامضة على الأستاذ مثلما هي غامضة على الطالب . فالأستاذ لا يدرى شيئاً عن الظروف المتعددة التي تحكمت في إجابة الطالب بجانب استعداده الطبيعي ومدى تحصيله . فهو لا يعرف شيئاً عن صحة الطالب يوم الامتحان ولا قبله . وهو لا يعرف شيئاً عن الحالة النفسية للطالب يوم الامتحان أو قبله . وهو بالاختصار لا يعرف شيئاً عن هذه الأمور ولا الكثير من أمثالها مما له أثر كبير ، من قريب أو من بعيد ، على إجابة الطالب التي عليها يتوقف هذا الحكم الذي يصدر له أو عليه .

ألا يحدث كثيراً أن يرسب الطالب كان الجميع يتوقعون نجاحه ، أو ينجح آخر كان الكل ينتظرون رسوبه ؟ وكثيراً ما يكون الأستاذ نفسه في الحالتين بين المندهشين

لهذه النتيجة . أيصح مع هذا أن يقال إن الامتحان مقياس عادل دقيق يعتمد عليه ؟ .

ثم إن الامتحان فيه غموض من ناحية أخرى هامة . فماذا يقصد الأستاذ عند ما يضع على ورقة الطالب ٧ — ضعيف ، أو ١٤ — جيد ، أو ١٩ — ممتاز ، وهي درجات مقدّرة من عشرين ؟ هل هو يعني بذلك أن الطالب الضعيف قد قام بتحصيل سبعة أجزاء فقط من عشرين جزءاً مما قام الأستاذ بتدريسه في طول العام ، والطالب الجيد قد استوعب أربعة عشر جزءاً من عشرين جزءاً ، أي ضعف الطالب السابق ، والطالب الممتاز قد هضم مما درسه تسعة عشر جزءاً ، أي أنه لم يفته أكثر من جزء واحد من عشرين جزءاً من المنهج أي ما يعادل خمسة في المائة منه فقط ؟ أم هل يعني الأستاذ بتقديراته هذه أننا إذا قمنا بترتيب الطلبة في هذه المجموعة ترتيباً تصاعدياً من الضعيف إلى القوي ، فإن الطالب الضعيف الذي حصل على سبعة يكون ترتيبه بالنسبة إلى المجموعة السابع إن كان بالمجموعة عشرون طالباً ، أو الرابع عشر إن كان بها أربعون ، أو الخامس والثلاثون إن كان بها مائة . وهل هو يعني أيضاً أن الطالب الممتاز الحاصل على تسع عشرة درجة لا يوجد في مجموعته من يفوقه في هذه المادة سوى خمسة في المائة منها ؟ هل الأستاذ يعني بتقديراته هذا أو ذاك أو شيئاً آخر يختلف كل الاختلاف عن هذا وعن ذاك ؟ .

أغلب الظن أن هذه التقديرات تعني شيئاً آخر قد لا يمت إلى هذا أو إلى ذاك بصلة من قريب أو من بعيد . إن الأستاذ عند ما يقوم بتصحيح الامتحان تكون في ذهنه إجابة نموذجية له بصورة صريحة أو متضمنة ، وهو يقيس إجابة كل طالب بهذه الإجابة النموذجية شعورياً أو لا شعورياً . فإن وافقتها تمام الموافقة حصل الطالب على الدرجة كاملة ، وإن وافقتها نصف موافقة بالضبط حصل الطالب على نصف الدرجة بالضبط . وهكذا . فالامتحان لا يقيس مقدرة الطالب الحقيقية إلا على قدر تحوله النقط الهامة بالمنهج وحسن إلمامه بها .

ليس هذا كل ما يمكن أن يقال من الامتحانات ، بل هناك الكثير والكثير جداً . ومجمل هذا كله أن الامتحانات قليلة المزايا كثيرة العيوب . ولكن بالرغم من ذلك فإنه لا يمكننا الاستغناء عنها ، فهي حتى الآن الوسيلة الوحيدة لتقدير القيمة العلمية للطالب . وإلى أن نوفق إلى وسيلة أخرى لذلك تكون أقل عيوباً وأكثر مزايا ، علينا أن نبرر هذا الأسلوب العتيق ، أسلوب الامتحان . فإذا طعن في الامتحان بأنه يتأثر إلى حد كبير بعامل الحظ والمصادفة ، فما أسهل أن نجيب : « وأي شأن من شئون الحياة لا يتأثر إلى حد كبير بعامل الحظ والمصادفة ؟ » .

حسن محمد صبحي

إبراهيم عبد القادر المـــــازنى

— ٣ —

للأستاذ عبد السميع المصرى

السخرية فى أدبه .

يجرنا الحديث عن فلسفة المازنى إلى بحث علاقة هذه الفلسفة بما شاع فى كتاباته من سخرية ، وقد رأينا المازنى برغم تشاؤمه حريصاً على الحياة ، وكان يود لو استطاع السيطرة على الحياة بطريقة الاكتفاء الذاتى التى انتهى إليها بفلسفته « ولكن كانت تعلو الحياة عندئذ لرجل كالمازنى الذى شاق ذرعاً بالحياة والأحياء حتى أصابه منهم اليأس وتفجر هذا اليأس سخرية وتنكراً للحياة ومن فى الحياة وما فى الحياة[1] » .

« وعلى الرغم من هذا التعلق بالحياة والنزوع إلى الاكتفاء بالذات لم يفلت المازنى من أن يحس بهبوط هذه الحياة هبوطاً قاتياً أيضاً عندما تقدمت به السن وتجنب من عصير قلوبنا فقال : (متى جاء الخريف وجاء المرء يشعر بأنه قد رأى خير ما كتب له فى عمره ، وأن ما بقى من رحلته فى هذه الدنيا أشبه بأن يكون وجوداً منه بأن يكون حياة — استمرار ومجرد اندفاع فى الطريق الذى كانت تجرى فيه الحياة الأولى كما يجرى النازل من الترام خطوات إلى جانبه .. — عرف المرء أن أذنه التى كانت تحملها همسة الحب الخافتة لن تسمع بعد ذلك تلك النغمة العذبة ، وصار القلب الذى كان يطفر إذا هتف بالنفس هاتف من أمل أو طماح يخفق بلا احتفال ، ولا يخرج من دقه عن الانتظام ، وبدأت الآمال والرغائب التى كنا نعتز بها ونحرص عليها تفقد حلاوتها وقوتها ونضارتها .. وتتعرى زهراتها من أوراقها وتجف وتصفر وتتساقط على اليد ويطيرها النسيم هنا وهاهنا) » .

فى هذه الفقرات يبلغ المازنى من التشاؤم حداً لا يمكن تجاوزه ، وذلك لأنه تشاؤم من صميم الحياة ذاتها ، فلم تخلقه ظروف خارجية ولا أوضاع اجتماعية ولا دخل للغير فيه ، وإنما هى الحياة ذاتها تخبو بين أيدينا ونحن عاجزون عن أن نعود فنشعل ذبالها .. أو هى الحياة يرى المازنى أنها صائرة إلى عدم بعد أن طوحت بآماله وملأت عمره آلاماً وأحزاناً ، فمن عسر فى المبدأ إلى حب خائب منى ، إلى فواجع متوالية أبرزها موت زوجه .

كل هذه العناصر تجتمع فتكون فلسفة المازنى التى اتخذ السخرية سبيلاً للتعبير عنها ، وهى كما ترى عناصر بعضها مستمد من بيئة المازنى وهى بيئة مصرية ، وبعضها مستمد من طبيعة الحياة فى ذاتها ، وبعضها مما تأثر به فى مطالعاته .

لقد انتهى المازنى إلى السخرية من الحياة ومن فى الحياة وما فى الحياة[2] ولم يعد يؤمن بشىء فيها ، واستنفدت تلك السخرية كل ما لديه من عصارة نفسه وجهد حياته ، فلم يرَ فيها بكتبه غير حصاد هشيم وقبض ريح وملهاة أطفال .

لقد كان المازنى يبدو متواضعاً فى حياته ، لكنه فى الواقع كان يلبس ثوباً مهلهلاً من التواضع يحاول أن يخفى وراءه كبرياءه وترفعه على الناس أو احتقاره الشامل للحياة وما فيها ومن فيها .

كان تواضعاً ينطق بإيمان صاحبه بنفسه وبسموه على معدن الأحياء حوله حتى ليقول : « إن اللآلئ لا تذوب فى الأوحال » وليس بعد هذا كبرياء بل قوة وشراسة .

ولذا كانت سخرية المازنى تعبر عن ألم دفين وتنفس عن مرارة مكبوتة فى نفسه ... إن هذا الذى يقول لقارئه : « أقسم إنك تشترى عصارة عقلى وإن كان فجاً ، وثمرة اطلاعى وهو واسع ، ومجهود أعصابى وهى متعبة بأبخس الأثمان الخ ... واعلم أنه لا يعنينى رأيك فيه — الكتاب —

---

(١) ، (٢) من بحث للدكتور محمد مندور فى بلاغ ٢٩ / ٨ / ١٩٤٩ .

ولا يسوءني أن تبسط لسانك فيه ، إذ كنت أعرف عيوبه ومآخذه منك ، وما أحلمني أن أضحك من العائبين ، وأن أفرج لهم لساني إذ أراهم لا يهتدون إلى ما يعيبون وإن كان تحت أنوفهم ... إني مستغن عن رضى النقاد والمتحذلقين من كتاب عصرنا ، وقانع باستحسان أمثالي من الأوساط المتواضعين ، وهم بحمد الله كثيرون في هذا البلد الأمين ، بل أكثر مما يلزم لي » ... إن هذا الشخص الذي يقول هذا القول إنما يصحح مما يعتمل في نفسه من ثورة ومن آلام معركته اليائسة مع الحياة والأحياء ، ولذلك هو يسعى إلى الانتقام منهم بهذه السخرية اللاذعة المريرة .

إن السخرية — وقد كان المازني بارعاً في استخدام سلاحها — وهو سلاح أمضى[1] في يد الكاتب من كل الصرخات العاطفية ، لأن البكاء والولولة والنحيب أساجة مسئومة إلى جوارها تنفر القارئ بما تعرض من ضعف وبما تقحمه من مشاعر خاصة شخصية على مشاعر الناس .

بينما السخرية — وهي تقلب الأوضاع وتحايل على الشاعر وتعبر بالإيحاء — تخفف من ثقل العاطفة الشخصية ، ويستطيع الكاتب بفضلها أن يلج رحاب النفس ، ويبلغ مأربه من قلب القارئ في غير عناء ... وهي بذلك تجعل الأسلوب التقريري الفعلي أيضاً لا ادعاء دعوى القدرة والسيطرة على عالم الفكر منها .

لكن المازني في أيامه الأخيرة نحا نحواً جديداً من السخرية لا يغاير ما اعتدناه من سخريته كل المغايرة ، إنما يختلف عنه في ناحية واحدة أو في عاطفة جديدة لم تكن متضحة في كتاباته السابقة ، إنما كانت في كتاباته الأخيرة أميل إلى الظهور وأوضح للقارئ ... تلك العاطفة هي عاطفة الرثاء للناس والإشفاق عليهم والحدب على آلامهم ! وراح لذلك يبث الناس آراء جديدة في السخرية الأدبية بناها على أساس هذه العاطفة الطارئة ، « وأنا في العادة أوثر الاحتشام أمام الناس ، ولكني حين أكون بين إخواني وخاصتي أطلق لنفسي العنان ولا أبالي ما أقول أو أفعل ما دمت أريد أن أقوله أو أفعله ، ولو وسعني أن أملأ الدنيا سروراً وانبساطاً لفعلت فإني عظيم الرثاء للخلق ، وأحسب أن هذا دليل ميلي للفكاهة ، فإني أتسلى بها وأنشد أن أدخل السرور على قلوب الناس ، لاعتقادي أن عند كل منهم ما يكفيه من دواعي الأسى ، وما دام في الوسع أن نعرض عليهم الناحية المشرقة الضاحكة فلماذا نغمهم ونحزنهم ... ثم إن للفكاهة مزية أخرى هي أنها من أقوى ما أعان على احتمال الحياة ومعاناة تكاليفها والنهوض بأعبائها الثقال ! فهي ليست هزلاً ولا تسلية فارغة ، وإنما هي تربية للنفس . والرجل الذي يلقى الحياة بابتسامة المدرك الفاهم — لا الأبله الغافل — خير وأصلح ألف مرة من الذي لا يزال يدير عينيه في جوانبها الحالكة ويندب ويبكي ويعول . ولو نفع السخط والغضب والبكاء لقلنا حسن ! فلماذا لا ننظر إلى الجانب الوضاء .. أو لماذا نعمى عنه وهو موجود ، أي لماذا نفقد القدرة على الاحتفاظ بالاتزان أو صحة الوزن[2] للأمور ؟ » .

وفي حديث آخر للمازني قبل وفاته بأيام قلائل ، وقد طلب رئيس تحرير المجلة أن يقبل منه رثاء المازني بقلم المازني يقول فيه : « كنت أريد أن أضع مثلاً جديداً في مأتمي ، لأن مأتم الموتى في هذا الوقت أصبح عادة مملة ، والبكاء على الأموات أصبح سخرية كرد يقوله الشابات في المآتم .. أريد أن تعود وتستعيد أخطاء الوقت ونوادرهم .. أريد أن يبتسم الناس عندما يسمعون نبأ موتي .. إن حياتي كانت مليئة من المآسي ، لكني يوم أموت أريد أن أسجل ابتسامة على شفاه قرائي .. إن الدموع تجف سريعاً ! ولكن الضحكة تعيش طويلاً » ! .

هذه سخرية المازني ، وهي سخرية ترفعه إلى مصاف كبار الكتاب العالميين ، لأنها صادرة عن فلسفة فيلسوف بصير بحقائق الحياة قدير على طرح أعبائه من فوق ظهره .

ولا يسعني أن أختم هذا البحث قبل أن أشير إلى ميزة أخرى من ميزات المازني ، وهي ولعه في حياته الخاصة « بالمناكفة البريئة » والدعابة اللطيفة ! ويروي لنا صديقه الأستاذ عباس العقاد هذه القصة عن الفقيد :

« كنا نقضي السهرة ذات ليلة في نادٍ كبير من أندية الموسيقى والغناء ، وطالت السهرة إلى ما بعد منتصف الليل ، وكان

(1) بحث الدكتور محمد مندور في البلاغ .

(2) أخبار اليوم عدد ١٧ / ٩ / ٤٩ .

رحمه الله يبيت يومئذ بمنزل على مقربة من الإمام الليث ، ولم يكن خط الترام قد وصل إلى الإمام ، وقد كان الترام الذى يذهب إلى تلك الجهة ينقطع قبل ذلك الموعد على كل حال ... وودعته وهو يتفق مع حوذى ليوصله فى مركبته — مركبة خيل — لأن السيارة لم تكن شائعة فى تلك الأيام .

« وكان الجو لطيفاً رائقاً والقمراء فى أولها ومكون الجزء الثانى من الليل يغرى بالغناء ، ويظهر أن الحوذى حين رآنا نخرج من النادى الثقافى — قد بدا له أننا من هواة السمع فلا حرج عليه إذا طرب وأطرب ، وراح يتغنى بما شاء من الطقاطيق التى يهواها ، ولم ينس أن يعتذر إلى (زبونه) بعد أن رفع عقيرته بالغناء — (لا مؤاخذة ياسيدنا البيه .. إن محسوبك من هواة السمع وإنه ...)

« وقبل أن يمضى فى الاعتذار بادره (الزبون) قائلاً :

— خذ راحتك .. « أنا والله أحب أسايرك » .

« ثم علك الحوذى نفسه من الطرب والارتياح لأن الجواب الذى سمعه جزء من « الطقطوقة » التى كان يغنيها وراح يغنى تارة ويردد قصته التى بدأ فيها تارة أخرى ، وخلاصتها أنه كان — لحوائجه السابقة — جاب « تخوت الأدباء » ويسترق السمع من لحظة وأخرى كما استطاع الإفلات من رقابة البوليس .

« واطمأن الحوذى وخلا له الجو بعد باب السيدة عائشة ونسى البوليس والزبون ومضى كأنه فى ليلة يود أن لا تنقضى به الطريق .

« وتدارك أخانا رحمه الله تلك الشنشنة التى لا تفارقه ، ويوحى إليه الموقف بالخاتمة الصالحة لهذا « الفصل الفنى » الذى أقحمه الحوذى عليه فأفسد عليه فى آخر الليل ما جمعه فى أوله ... إن الطرب الفتيح تمضى ساعة وهو يقول فى الطقطوقة التى يغنيها « نا أخوف آخرتها معاك .. » فماذا لو كانت آخرتها أن يلتفت عند ساعة الطاق فلا يجد الزبون

« خطر الخاطر فلحق به التنفيذ وخلت المركبة ، والطرب الشغول بغنائه لا يدرى ، لأن خلو المركبة وامتلاءها بذلك الحمل الذى كان فيها يستويان[1] .

« والتفت الحوذى بعد أن طالت الرحلة ، ولم يستمع من الزبون صوتاً ولا أمراً بالوقوف .. فطار ما فى دماغه من الغناء وامتلأ بكل ما وعاه فى حياته من البغاء ... ولا حاجة بالقارىء إلى ترديد ما ألقاه من لسانه فى وقت الخلاء ، وليس من حوله أحد يجيبه أو يستدل به ، وفريسته الباحث عنه كان وليله الوحيد .

وزورنى الصديق فى اليوم التالى فسألنى : « أتذكر شكل الحوذى الذى كنت معه بالأمس ؟ » قلت : لا أظن أنى أحقق شبهه ، فماذا تسأل عنه ؟ هل فقدت شيئاً عنده ؟

قال ضاحكاً : كلا ، ولكنه هو الذى فقد !

لم أفهم شيئاً وسألته : وماذا فقد ؟ قال : فقدنى أنا .. وقص على تفصيل تلك القصة التى أجملتها هنا بعض الإجمال .

وانتهى إليه من الفاكهة وجاء دور الرحمة بذلك المسكين ، وإنما هو مهموم بالبحث عنه لإعطائه أجره الذى علم إليه أنه شيخ بين أمل ، فقلت له إن حوذياً بهذه الصفة لا بد أن يكون معروفاً بين زملائه فى موقفه وغير موقفه ، فهو إلى الموقف بحثت عنه هناك .

وإن أعطيك فلما فى محاولة البحث هناك ، لأن القصة كما حدث زملائه ، وإن لم يكن هو بالموقف تلك اللحظة ، فأخبرهم أنى يحدثنا إنا عاد ، ولم يشطو يلاحق أثقل الرجل يتزول وهو لا يصدق أن زملاءه قد صدقوا الخبر ، فلما رأى صاحبه بالأمس أقبل عليه متهللاً وتناول منه ضعف الأجر الذى كان يطمع فيه وانصرف وهو يدعو له ويقسم « لا عدت إلى الغناء أبداً وأنا مركب » وإلا « فعلى روحى أنا الجانى » فقال له الصديق العزيز « بل غنّ ما شئت ولكن تعطى وجهك للسبع »

وكان المازنى رحمه الله يتقل الكلام إلى قرائه من هذه الدعابات البريئة والنوادر المستملحة فى أسلوبه الساخر الذى يكشف عما يكمن وراءها من معانى إنسانية .

مقارنة

لا يمكننا التحدث عن المازنى دون أن نقيم هذه المقارنة بين المازنى والمازنى أو بين المازنى ونفسه ... المازنى فى

(١) كان المازنى قصير القامة نحيل الجسم .

العشرة الثانية والثالثة وبعض الرابعة من القرن الحالي ، والمازني فيا بعد حتى عام ١٩٤٩ .

لقد كان المازني في أول عهده بالأدب والصحافة أديباً يعنى بمشكلات الحياة ويتعمق في نظرته إليها ولا يكتفي بالقشور من الأمور ولا بالنظرة السطحية ، بل يحقق ويدقق ويتفلسف فيا يكتب ، وكان كما أسلفنا أستاذاً يعلم جيلا ويتزعم مدرسة من الأدباء والقراء ممن يتذوقون الأدب الحق ، وكان يوجه النشء الوجهة الصحيحة في الحياة .

فهو في كتاباته يعالج التراجم ويفرد كتاباً لابن الرومي وينصب نفسه للدفاع عنه وعن مذهبه في الشعر ، وتراه في حصاد الهشيم يحدثك عن المتنبي وعمر الخيام وماكس نورداو وشكسبير ، ومقاييس الفن والجمال والتصوف في الأدب والشعر الوصفي والتصوير والطبيعة والخلود ، وكل وجه شاكله من الموضوعات ، غير هياب ولا وجل ، ويبدى رأيه في جرأة وصراحة ، ويتقبل نتائج كتاباته في اطمئنان الواثق بنفسه المعتد برأيه .

لكنه في الأعوام الأخيرة من حياته ترخص في كتاباته ومال إلى إرضاء الجماهير ، فطرق المواضيع السهلة وكتب في التافه من الأمور وكتب كثيراً وأملى قليلا حتى قال عنه صديقاً له من النقاد : « ستقول إن المازني كان بالأمس خيراً منه اليوم وإنه ترك زمرة الأدباء وانضم إلى زمرة الصحفيين ، وإنه يكتب في كل مكان ويكتب في كل شيء حتى أصبح تاجر مقالات تهمه ملاحقة السوق أكثر مما تهمه جودة البضاعة ، أليس كذلك ؟ ... ولكن لا تنس أن الأديب في بلدكم مجبر على أن يسلك هذا السبيل ليكسب عيشه وعيش أولاده وليستطيع أن يحيا حياة كريمة تشعره بأنه إنسان[1] ... » .

وحقاً كان المازني صاحب عيال ورب أسرة ، عليه أن يدبر أمرها ويحفظ لها عيشاً كريماً ، وقد أيده الدكتور أحمد بك أمين فيا ذهب إليه فقال : « لذلك كان المازني مضطراً دائماً أن يكتب ليعيش وتعيش أسرته ، يعاني المرض ويعاني الألم وغير الحاجة القصوى إلى الراحة ، ولكن أنى[2] له الراحة والعيشة لا ترحم والحكومة لا ترحم والأغنياء لا يرحمون ؟ وتتدفق الأموال على الراضية الخليعة والمغنى المهرج ويعيش الأديب عيشة سوداء تكبر قلبه ومن مجرى ضيق كشق قلمه » .

وهكذا كان المازني مضطراً لأن يستجيب لرغبات الجماهير ويترك قلمه الأصيل إلى ميدان آخر ...

أو هكذا نعود بنا هذه المقارنة إلى علة العلل الكامنة وراء فلسفة المازني الساخرة وتشاؤمه المرير .. ألا وهي الصراع العنيف الدائم ، والمعركة التي استمرت العمر كله بينه وبين الحياة ، حتى إنه اضطر ذات يوم إلى بيع مكتبته ليدفع عن نفسه الحاجة ، ومكتبة الأديب لو تعلمون أعز ما عنده في الوجود .

أعماله

إنه أمر مؤسف حقاً ، ألا تهيأ الأسباب لأديب فذ كالمازني حتى يتفرغ لأداء رسالته بدلاً من استغلال مواهبه في هذا العمل الصحفي العاجل الفاني الذي يستجيب لوحي الساعة وضرورات المعيشة .

ولو تيسرت موارد العيش للمازني واستطاع أن يتفرغ للتأليف الذي يريده لأمتع الناس بالعجب العجاب في هذا الباب ، ولظفر العالم العربي بثروة المازني كلها ، وما أنفسها وأجلها !

ومما كتب المازني : إبراهيم الكاتب ، إبراهيم الثاني ، قبض الريح ، الديوان ، رحلة الحجاز ، صندوق الدنيا ، في الطريق ، خيوط العنكبوت ، بشار بن برد ، ع المتنبي ، مختارات من القصص الانجليزي ، عود على بدء ، السياسة المصرية والانقلاب الدستوري ، أقاصيص ، ثلاثة رجال وامرأة ، من النافذة .

وغير ذلك كثير . فما أحرانا بعد أن أضعنا من هذا الكنز ما ضيعنا — وهو بيننا — أن نعلم كيف نصون ما أبقاه لنا ، وأن نجمع ما لم يطبع من كتابات المازني ، وأن ننشره ، ضناً به على الضياع وحرصاً على تراث من آدابنا العربية من الفناء .

عبد السميع المصري

---

(١) العدد ٨٤٢ من الرسالة .

(٢) العدد ٥٥٥ من الثقافة .

صور خاطفة لشخصيات لامعة

لديل كارنيجى

ترجمة الأديب حسين أحمد أمين

— ٤ —

غاندى

يجلس الرجل النحيل الأسمر بثوبه الأبيض على حصير مضفر بسيط الصنع، ويرفض أن يتناول طعامه حتى تجاب مطالبه أو يموت، فإذا العالم يهتز وإذا الصحف تنشر الخبر في صفحاتها الأولى وتعنى بتفاصيل القصة.

ذلك لأن المهاتما غاندى من أبرز القادة في عصرنا الحديث.

فأما بالنظر إلى ماله فغاندى رجل فقير، إذا بيع ما لديه من متاع لم يحصل على أكثر من ثلاثة جنيهات ومع ذلك فهو أقوى من جميع أصحاب الملايين الذين تقلهم الأرض.

وأما بالنظر إلى بنيته فغاندى رجل ضعيف، يرفض أن يلجأ إلى القوة أو العنف، ومع ذلك فتعاليمه وتأثيره الروحى أقوى وأشد أثرا من مئات البوارج.

إن شخصا من كل ستة أشخاص في هذا العالم يعيش بالهند، وقد عاش الأهالى هناك قرونا طويلة غافلين نائمين، إلى أن أتى هذا الرجل النحيل الضعيف الذى يزن أقل من مائة رطل، فأيقظ مواطنيه وبث فيهم الروح وأشعرهم بما في إمكانهم القيام به من جليل الأعمال.

لقد ترك من الأثر ما سيخلده له التاريخ أبد الدهر. وثمة أشياء غريبة كثيرة عن هذا الرجل. فأسنانه الصناعية يحملها معه في كيس بثوبه الكتانى ولا يضعها في فمه إلا عندما يجلس ليأكل. حتى إذا ما فرغ من طعامه أخرجها من فمه وغسلها ثم أعادها إلى كيسه من جديد.

وهو يتكلم الإنجليزية بلكنة إرلندية فقد كان أحد مدرسيه إرلنديا. وهو لا يلبس إلا هذا الثوب الكتانى البسيط. أما عندما كان يعيش في إنجلترا فقد كان يلبس قبعة من حرير وبذلة ويحمل عصاه.

لقد تعلم في جامعة لندن وتخرج فيها وكيلا قضائيا، وعندما ألقى مرافعته لأول مرة ارتعشت ركبتاه وغاص قلبه من الخوف حتى اضطر إلى الجلوس مضطربا مهزوما.

ولما اشتغل بالمحاماة في لندن لم يلجأ إليه أحد ولاقى شدة الحاجة.

وكان أول محفوظاته بالإنجليزية على يد أستاذه الإرلندى آية من الإنجيل كان يرددها كثيرا ليعتاد نطقها. ونصها:

«اللهم بارك الودعاء اللينين، إنهم سيرثون الأرض.. اللهم بارك دعاة السلام، إنهم أبناء الله».

ما كان أعظم أثر هذه القطعة على نفس هذا الرجل.

وأرسل إلى جنوب أفريقيا ليقاضى هنالك بديون جسيمة، وقد حاول أن يطبق هذه الآية في هذه البقعة من الأرض، فنجح والتف حوله الناس وأحبوه، لأنه فض منازعاتهم بطريقته السلبية، فلم تعد بهم حاجة للالتجاء إلى القضاء، ووفروا الوقت والمال.. وبذلك كان يحصل غاندى على ثلاثة آلاف دولار كل العام، وبدأ الودعاء اللينون يرثون الأرض.

ولكن، أكان سعيدا؟ لا.. لأنه يعلم أن الملايين من مواطنيه يعيشون في شقاء وتعاسة.. وقد شاهد الآلاف منهم يموتون من الجوع، وبدا لعينيه أن النجاح الشخصى

رخيص ثمنه . فتحول عن ثرائه وفضّل الفقر ووهب حياته لخدمة الفقراء والمضطهدين .

وتضرع غاندى إلى الهنود أن يكفوا عن النسل عندما رأى عشر سكان الهند يتضورون جوعاً . أليس من الأفضل ألا نخرج إلى هذا العالم قوم جدد ليذوقوا المجاعة والحرمان ؟ .

وقد أجرى غاندى تجارب كثيرة لمعرفة الحد الأدنى للنفقة مع حياته حياة صحية .. فأصبح يعيش على الفاكهة ولبن المعز وزيت الزيتون .

وقد تأثر غاندى بتعاليم أحد الفلاسفة الأمريكيين ، ويدعى دافيد ثورو . وقد تخرج ثورو هذا فى جامعة هارفارد منذ مائة عام ، وأنفق مالاً كثيراً فى بناء كابين له على شاطئ والدن بوند فى ماساشوسيتس ، وعاش هناك متنسكاً زاهداً ، ورفض أن يدفع الضرائب ، فطورد وعومل بقسوة .. وأصدر حينذاك كتاباً حرض فيه المواطنين على العصيان وعدم دفع الضرائب . ولكن [illegible]

وبعد خمسة وسبعين عاماً قرأ غاندى [illegible] أن يطبق تعاليم ثورو فى الهند . ولما وجد أن [illegible] توافق على منح الهند استقلالاً ذاتياً حرض الهنود — لكى يعاقب انجلترا — على عدم دفع الضرائب ، متحملاً ألم السجن ، وطلب من مواطنيه أن يقاطعوا البضائع الإنجليزية . ولما فرضت انجلترا ضريبة على الملح لجأ غاندى وأتباعه إلى البحر يستخرجون منه الملح اللازم لهم .

وفى الهند وجد غاندى ستين مليوناً يعدون — حسب الدين الهندوسى — من المنبوذين . فما معنى ذلك ؟ لنفترض أنك تعيش فى الهند ، وأن أجدادك عدوا منذ آلاف من السنين من المنبوذين حسب الدين الهندوسى . معنى ذلك أنك تصبح اليوم أيضاً من المنبوذين . وعلى روحك أن تكفر عن خطايا أجدادك الذين ارتكبوها منذ عهد بعيد ، ويحرم عليك أن تشرب من الماء الذى يخرج من بئر القرية ، فإذا أردت أن تشرب فعليك أن تلتمس ماء قذراً من ترعة مهجورة بعيدة عن العمران .. وينظر الناس إليك بازدراء وكراهية ، حتى إنك لا تجرؤ أن تدخل متجراً لشراء حاجاتك ، فعليك أن تمكث خارج المتجر حتى يقذفوا لك بما تريد .

وليس بإمكانك أن تلجأ إلى القضاء أو تدخل مدرسة أو تسير فى مدى خمسين قدم من الطريق العام ، وإذا مس ظلك طعام الغير غير صالح للأكل وأتلف .

تذكر أن بالهند ستين مليوناً من هؤلاء ، يعيشون اليوم حياة مؤلمة بالنسبة هى من أكبر المآسى التى يواجهها عصرنا الحديث . وقد خصص غاندى حياته يحارب فى سبيل استعادة حقوقهم ، فتبنى إحدى الفتيات المنبوذات وربّاها كابنته .

الملايين تنظر إلى المهاتما غاندى كقديس ، ويعتقد البعض أن روح أحد الآلهة الهندوس قد حلت به ..

فى ذلك العالم الذى تشيع جوه بالحقد والشره والأنانية يعيش ذلك الرجل الذى لا يريد شيئاً لنفسه ، والذى ضحى بكل شيء لكى يهب الآخرين الحياة .

حسين أحمد أمين



الندم أو الذباب لجان بول سارتر

ترجمة الدكتور محمد القصاص

للدكتور شوقي ضيف

تشيع في فرنسا اليوم فلسفة جديدة في الفكر والحياة هي الفلسفة الوجودية ، وجان بول سارتر أهم دعاتها حتى ليطلق خصومه عليه وعلى أنصاره اسم « أخلاف سارتر وأصحابه » ؛ فقد دأب على تصويرها في مختلف الصور الحديثة ، وفي رواياته ومسرحياته ، ومن أهمها مسرحية الندم أو الذباب التي ترجمها زميلنا الفاضل الدكتور محمد القصاص ، حتى يطلع قراء العربية على حقيقة هذه الفلسفة ، ولعل ذلك ما جعله يقدم لنا بمقدمة طويلة حاول فيها أن يرسم الخطوط الأساسية لفلسفة سارتر الوجودية .

وهي خطوط يبدؤها بما تزعمه الوجودية من أن الوجود متقدم على الماهية ، فنحن نوجد أولاً ، ثم توجد ماهيتنا ، أو بعبارة أدق : نحن نوجد ، ثم نصنع ماهيتنا ، نصنعها بإرادتنا ؛ فكل منا يكشف حياته حسب مشيئته ، ولا شيء يسيطر عليه في هذه المشيئة ، أو قل لا شيء يمليها له من هذه الأوهام التي تسمى تأثيرات طبيعية أو اجتماعية ، وحتى ماضي الإنسان نفسه لا يسيطر عليه منه شيء إلا ما يريد هو ، فهو الذي يحكم نفسه بنفسه ، وهو الذي يوجه نفسه كما يريد في مستقبله .

وهذا الخط الكبير من خطوط الوجودية عند سارتر يفضي بنا إلى الخط الثاني ، وهو الخط الذي يدعمه بكل ما يستطيع من قوة ، ونقصد خط الحرية . فكل منا حر لتقرير مستقبله ومصيره ، إذ كل منا يستطيع أن يحيا ويتخلص من أي نوع من أنواع الجبر المزعومة أو الموهومة ، التي يسميها تارة مؤثرات طبيعية ، وتارة أخرى مؤثرات علمية أو فنية أو سياسية أو خلقية .

الإنسان حر أو ينبغي أن يكون حراً أوسع ما تكون الحرية ، فهو الذي يصنع ماهيته ، وهو الذي يوجهها على النحو الذي يريده غير مقيد بأوضاع ولا قيم سابقة ؛ فالحياة ليس فيها جبر ، لا من بيئة ، ولا من تربية ، ولا من أشياء ماضية ، أو ما يسمونه التاريخ . إنما فيها الإنسان الحر الذي يسوي نفسه في الصورة التي تمليها مشيئته وإرادته .

وليس معنى ذلك أن سارتر يلغي الوجود الجماعي للفرد البتة ، ويدعو إلى فردية خالصة ، فهو يرى أن كلاً منا في وجوده الفردي يكتشف وجود الآخرين ، عن طريق هذا التشابك أو التلاصق في الماهية أو الوجود بين الفرد وغيره من الأفراد .

وما زال في هذه الأفكار التي يسوقها الدكتور الصاوي حتى ينتهي إلى المسرحية ، وهي تقع في ثلاثة فصول بث فيها سارتر فلسفته الوجودية . وقد دارت هذه الفصول في أرجوس حيث نجد أهلها وملكهم وملكتهم يخطئون ، أو قل يغرقون في الفساد ؛ فقد قتلوا الملك الظافر « أجاممنون » وارتضوا قاتله ملكاً عليهم تشاطره زوجة أجاممنون الخائنة . وكان لأجاممنون ابن منها هو أورست بطل المسرحية ، وكان حين قتل أبوه لا يزال في المهد صبياً ، فأصدر زوج أمه أمراً بقتله ، ولكن الذين حملوه ليقتلوه أشفقوا عليه ، فطرحوه في غابة ، والتقطه نفر من أعيان أثينا ، فرعوه أجمل رعاية ، وربوه خير تربية .

وتفتح فصول الرواية على منظر في أرجوس حيث تمثال جوبيتر إله الذباب والموت ، ونرى نساء عجائز أثينا في مسوح سوداء ، وفي أيديهن زقاق الخمر ، ليرقنها أمام التمثال ، ويدخل أورست ومربيه وجوبيتر . ويدور الحوار أولاً بين أورست ومربيه ، ثم بين أورست وجوبيتر ، ويطلع أورست على ما كان من خيانة أمه وزوجها الجديد وما غرقت فيه أرجوس من إثم وفساد ، ولا يلبث أن تلقاه أخته إليكترا ، فيتحاوران ، وتشكو إليه في حوارها ما تصب عليها أمها وزوجها من أسواط العذاب ، فهي تعمل لها خادماً مهينة . ويقول لها : إنه أخوها فلا تصدق ، لأنه لا يتقدم لتخليصها مما هي فيه ، ورد حريتها إليها . وتسأله عن البلدة التي أقبل منها ، فيقول لها : إنها لا تعرف إلا المرح والغناء . وما زال يحاورها حتى يتضح له طريقه فيقتل أمه وزوجها ، ويحرر أخته والبلدة من القيود الثقيلة التي رزحا تحت أعبائها .

وأثناء هذه الفصول والمناظر المتعاقبة يبث سارتر آراءه الوجودية ، فهذا إيجست الملك يعلن في حوار له مع جوبيتر أنه يصدر في عمله عن مشيئته هو ، لا عن مشيئة جوبيتر ، يقول ص ١٠٧ : « منذ أن ملكت وكل أعمالي وكل كلامي لا وجهة لها إلا تصوير صورتي ، أريد من كل واحد من رعاياي أن يحملها في نفسه ، وأن يحس حتى في وحدته نظراتي القاسية تنوء بأخفى أفكاره . ولكني كنت أول الضحايا ، فأصبحت لا أراني إلا كما يرونني ، وأطل على البئر الفاغرة التي تكمن أرواحهم وأرى صورتي في أقصى القاع ، فتقززني بقدر ما تأخذ بلبي .. وهل أكون إلا هذا الرعب الذي في قلوب الآخرين مني » .

وواضح أن إيجست ينكر الإيمان إلا بنفسه ، إذ يعلن أنه هو الذي صنع ماهيته أو صورته ، وأنه حمّلها من حوله من رعيته . ولم يلبث أن أصبح أول الضحايا عن طريق التشابك أو التلاصق في الذاتية والشركة بينه وبين غيره في الوجود ، فلم يعد إلا هذا الرعب الذي في قلوب رعيته منه .

ثم هذا أورست بطل المسرحية يعلن في غير موضع حريته وأنه حين ما جنى حراً مختاراً ، إذ وجد نفسه أو وجد ماهيته ، يقول ص ١١٦ : « لقد فعلت فعلي يا إليكترا وهو فعل حسن ، سأحمله على كاهلي كما يحمل المسافرون عابر الماء ، وسأعبر به إلى الشط الآخر لأقدم عنه الحساب ، وكلما ثقل عليّ حمله فرحت به عيناي لأنه هو حريتي . وحريتي ليست شيئاً سواه . بالأمس فقط كنت أهيم على وجهي تزحزحني المصادفة المحضة ، وكانت آلاف الطرق تفر من تحت قدمي لأنها ملك لغيري ، استعرتها جميعاً من طريق ساحبي السفن ، تلك الطريق التي تسير محاذية النهر إلى طريق البغالين إلى الطريق المرصوفة ، طريق سائقي المركبات . ولكن لم تكن لي واحدة من بينها ، واليوم ليس أمامي إلا طريق واحدة ، لا يعلم غايتها إلا الله ولكنها طريقي » .

وهكذا يطبق سارتر على أورست آراءه في الحرية ، كما يطبق عليه تكراره للحرية في أي صورة من صورها ، فقد نشأ بعيداً عن أرجوس ، ولكن لم ينفعه بعده ولا تربيته التي ربيها ، أو قل لم يعوقاه عن قتل أمه وزوجها لكي يحرر أخته وأهل أرجوس : فالإنسان حر وهو يريد الحرية لغيره ،

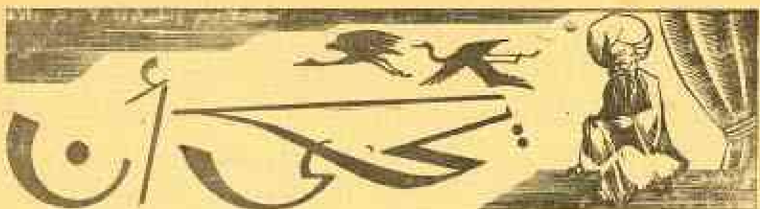
وليس هناك شيء يحول بينه وبين ذلك ، لا من بيئة ولا من ثقافة ولا من أي ظروف أخرى . وقد انتهى أورست إلى ما انتهى إليه من هذا المصير الذي أراده أثناء تشابكه الفلسفي أو تلاحمه الوجودي مع أخته .

وعلى هذه الشاكلة يكتب سارتر مسرحيات لكي ينشر آراءه ، وهي لا شك آراء فيها كثير من الغموض وفيها أيضاً كثير من المخالفة للحقائق المعروفة ، فهو ينكر كل تأثير خارج عن الإنسان في توجيهه وتكوين مصيره ، سواء أكان هذا التأثير من الطبيعة أو من المجتمع أو من التاريخ ؛ فلا شيء يصنع الإنسان ، إنما هو الذي يصنع نفسه أو يصنع ماهيته غير متأثر بعلة من العلل أو سبب من الأسباب .

وهذا تطرف في الرأي ، فإننا لو درسنا شخصاً في يوم من الأيام لرأيناه يتأثر بمؤثرات كثيرة بعضها تافه وبعضها حاد قوي . فصياغة الإنسان لنفسه نظرية أو فلسفة مبالغ فيها . ولندع فلسفة سارتر إلى المسرحية نفسها لنحكم عليها من الوجهة الفنية . وأراني لا أتردد في القول بأن من يقرؤها يشعر أنه ليس لها نهاية محدودة ، إذ تمس إلى رسم مواقف وأفكار دون رسم شخصيات . وأعترف بأني لم أشعر أثناء قراءتها لا بفرح ولا بحزن ، لأني كنت أقرأ عقلا صرفاً له آراؤه لا قلباً له عواطفه .

ومهما يكن فنحن نشكر الدكتور القصاص على ما بذل في شرح آراء سارتر وترجمة مسرحيته من عناء ، ونثني على هذا الجهد الخصب الموفق ، وإنا أمل وطيد في أن يتحف قراء العربية بترجمة الآثار الأخرى لكاتب الوجودية الأكبر ، حتى تتضح آفاق هذه الفلسفة الجديدة من جميع جوانبها .

شوقي ضيف



حكايات صغيرة

للأستاذ حسن فتحي خليل

المساواة :

هاجمت سمكة كبيرة أخرى صغيرة وأرادت ابتلاعها ، فصرخت الصغيرة قائلة : إن هذا ظلم بيّن ، فأنا بدوري أرغب في الحياة ، وكل السمك سواء أمام القانون .

فأجابتها السمكة الكبيرة : هوني الأمر على نفسك فإني لن أجادلك بشأن مساواتنا ، ولكن إ[illegible] أنا ، فلتتفضلي أنت بابتلاعي إذا أمكنك ذلك .. هيا [illegible] ولا تخافي .

فتحت السمكة الصغيرة فمها على سعته محاولة أن تدخل فيه السمكة الكبيرة عبثا . وأخيرا ندت عنها زفرة حارة وقالت : لقد رضخت للفكرة .. ابتلعيني .

(فيدور سولوجب)

ميعاد في سمرقند :

قال الموت : كان هناك تاجر يقيم في بغداد أرسل خادمه يوما إلى السوق ليشتري له بعض حاجاته ، ولكن سرعان ما عاد إليه الخادم وهو يلهث ، حائل اللون ، يرتعش فرقا ، وقال : ياسيدي .. لقد حدث الآن فقط حينما كنت أطوف في السوق أن صدمتني امرأة وسط الزحام ، فالتفت إليها وإذا بي أجد أن الموت هو الذي صدمني .. فرمقني بنظرة نارية وهددني بإشارة منه ، وإني لأرجو منك الآن أن تعطيني جوادك لأهرب به من المدينة وأتفادى مصيري .. وسأذهب إلى سمرقند حيث لن يعثر علي الموت .

فأعطاه التاجر حصانه واعتلى الخادم صهوته وسرعان ما وخزه بركابه فانطلق الجواد يعدو في أقصى سرعة .

ثم ذهب التاجر بنفسه إلى السوق فرآني واقفا وسط الزحام فقال لي : لماذا هددت خادمي حينما رأيته اليوم ؟ فقلت : لم يكن ذلك مني تهديدا .. ولكنها كانت مفاجأة لي .. فقد عرتني الدهشة حين رأيته في بغداد .. لأن علي موعدا معه هذا المساء في سمرقند !

(سومرست موم)

الاعتذار :

جاء إلى أحد الكتاب الأعلام — وكان يتفاوض في ترجمة أحد كتبه إلى اللغة اليابانية — الخطاب التالي من إحدى دور النشر في طوكيو :

« قرأنا كتابكم في سرور يعجز عن وصفه ، ونقسم لكم بذكرى أجدادنا المقدسين أنه لم يسبق لنا من قبل أن سنحت لنا مثل هذه الفرصة النادرة لقراءة مثل هذه الطرفة الأدبية ؛ فإذا ما تولينا نشر كتابكم هذا ، فإن جلالة الامبراطور سيصر على أن يكون مثالا يحتذى لكل ما نقوم بنشره ، ولن يسمح لنا جلالته بنشر أي كتاب أقل شأنا

من كتابكم ، وعلى هذا فلن نتمكن من متابعة عملنا إلا بعد مرور عشرة آلاف سنة . لهذا تجدوننا مكرهين لأن نرفض عملكم الأدبي الكبير ، ويداخلنا الخوف في نفس الوقت مما ستتعرضون له في الأجيال القادمة من الحكم القاسي لإقدامنا على مثل هذه الجناية الأدبية » .

ولعل هـذا الاعتذار يقيه بطبيعة الحال أرق الكتاب شعوراً ببعض السرور .

ضراعة :

تسلم حاكم إحدى المقاطعات في نيجيريا الخطاب التالي من أحد أهالي أفريقيا الغربية :

« سيدي الرحيم :

حين تفتح خطابي هذا ستعرف أنه من شخص هو رب لعائلة كبيرة تتكون من زوجات كثيرات وأولاد عديدين ، فصله سيدي بنفسه من عمله .

وإني لأرجو منك يا سيدي بحق السماء ، أن تتخيل الفكرة وقد وقعت على رأسك أنت ، وتصور أنك عدت في نهاية الشهر إلى خمس زوجات متوحشات وستة عشر طفلاً نهمين شرهين وجيبك خالٍ .. فإنك حتماً ستشفق على حالي .

وإنه لمن العجيب أن يتهمني سيدي بالتهاون والكسل ويفصلني من أجل ذلك ، بينما الحقيقة هي أن شخصاً مثلي أنجب ستة عشر طفلاً إلى هذا العالم المظلم الممتلئ بالدموع لا يمكن أن يحتوي جسده الفاني على ذرة واحدة من ذرات الكسل ، وإن فقدي الفاجع لأحد عشر جنيهاً شهرياً ليتركني على حافة اليأس والجنون .

وإني لأرجو مخلصاً أن تتراءى حالتي المزعجة هـذه إلى سيدي في أحلامه هـذه الليلة ، وأن تدب الملائكة خطوة قلبه فيستيقظ مسرور القلب منشرح الصدر طيب النفس ليعيدني إلى عملي .. آمين » .

وما رأي القراء ؟ أيعيده الحاكم إلى عمله بعد قراءته لهذا الخطاب ؟

معرفة قريبة :

كان المغني التينور الشهير كاروزو يحب دائماً أن يحكي هذه القصة :

لقد حدث يوماً أن كسرت سيارته حينما كان يخترق بها إحدى القرى ، فتقدم فلاح لمساعدته ودعاه لتناول الغداء معه في منزله لحين الانتهاء من إصلاح السيارة . وأراد كاروزو أن يرد هـذا الجميل فتنازل وغنى له . فلما سأله الفلاح عن اسمه أجابه في خيلاء « كاروزو » .

فدهش الفلاح وقال : تصور هـذا .. فلطالما قرأت عنك ! .

فقال كاروزو في ابتسامة والسرور يملأ فؤاده : « حقاً ! » .

فأجابه الفلاح : طبعاً .. ومن ذا الذي يتصور أنك قد جئت لي هنا في مطبخي ! .. أنت الرحالة الشهير .. روبنسن كروزو .

وقائع :

حينما كان ابراهام لنكولن ما زال محامياً صغيراً حدث أن ترافع في قضيتين في نفس اليوم وأمام نفس القاضي . وكان محور القضيتين يدور حول مادة واحدة من مواد القانون ، ولكنه كان في إحداهما في جانب المدعى عليه وفي الأخرى في جانب المدعي .

وفي الصباح كانت مرافعة موفقة فكسب القضية الأولى . أما بعد الظهر فقد أخذ الجانب العكسي وكان يناقش بنفس الحرارة ، فسأله القاضي وهو يبتسم عن سر تغير موقفه ؟ فأجابه لنكولن : « يا صاحب السعادة .. ربما كنت مخطئاً هـذا الصباح .. ولكني أعرف أني على حق الآن ! » .

عيسى فتحي طليل

من صلوات الشاعر الغريب:

خلود ...

لئن جحدوا قدري لما جحدوا شعري
وإن سخروا مني فما وأدوا ذكري

وماذا ينال السحب من وحشة السما؟
وما تنقص الأنواء من لجة البحر ...؟

لسوف يطل الصبح من شرفة الدجى
وتحترق الظلماء في موقد الفجر ...

وتهتز روح الكون من نخل موهق
فيرقص نشوان العواطف من خمري

وتشجي فؤاد العالمين ربابتي
بأروع ما غنته شبابة الشعر ...

على رغم أنف الحاقدين جميعهم
وأهل الزمان الساخر الوعر الصخر

جزى الله قوماً حاربوني بعزمهم
وما لهم عندي – ولا لي – من ثأر

أقاموا عراقيل الخديعة في خطى
شبابي ... وبثوا بالعوائق في سيري

وما ذاك عن جهل لقدري وإنما
كما يخشى الغربان إشراقة الفجر ...

وما قتلوني إنما كشفوا لي !...
وما هدموني إنما عرقلوا طيري ...

ولا قتلوا بي حين راشوا سهامهم
ولا قبروني عندما قدموا قبري

جزاهم جزاء الحاسدين وحسبهم
بأن يشتهين ذكري وأن يعلون قدري

وقالوا: صغير السن لم يغد طوره
فقلت: وما شأن المواهب بالعمر !!

هل الحسن إلا في غصون اللطافة
أم الورد إلا في الفصائله النضر ...؟

وكم من طويل العمر ذكراه ميتة
وكم من قصير عمره خالد الذكر ...

فلا تقرنوا عمري بشعري فإنني
لأصغر من شعري وأكبر من عمري

إليكم بياني فاقرأوه مفصلاً ...
أأبصرتموا في غرة الشمس من عذر

خلود جمال ما إنشائي على نحر
وأحلام حزن ما اتكين على صدر

ومعنى جديد لم يخض خضاءه
سواي ... ولم ينهل قبلي في فكر

ولفظ نقي، الموت حتى كأنه
بموضعه من بيته البيض في الزهر

مواهب فنان السموات وحده
وله أن يكسو الذي شاء أو يعري

وقالوا: كبير النفس يمشي على الثرى
ومن بين ذاك الأنف فوق السما يسري

فقلت: الزهى القادرين فليتهم
تساموا بنابغيه عن الملتقى المستقر

مطامحه فوق السحاب وكورها
تثور بلبنيها دائماً مقلة الصقر

وآماله ما بينه وبلوغها ...
مسافة ما بين الحقيقة والنكر ...

وإيمانه يا غاليه قصيرة
وما ظن يوماً أنه عاثق الدهر

وروح الكريم الحر تحرق ذاتها
وتمي الكبير النفس فاقدة الصبر

فلا تحسدوه طالبين فإنه
غريب عن الدنيا ... قريب من القبر

غداً سوف يطوي الموت ظل حياته
وكم طوى من قبل ألوية الكثر ...

وتبلى يد الأيام جدة عمره
وتنطمر الآمال في قلبه البكر ...

سيفنى كما تفنون حتماً ... وإنما
ستبقى قوافيه خالدة الذكر ...!!

محمد مفتاح الفيتوري

لحن ضائع

• عرفتها ، فأدركت أعماقاً من معاني العفة والشرف .. فأحببتها حول فكرة .. وتعاهدنا لقاءه العهد المقدسة ...

ولما أوشكت يدانا أن تتصافحا أمام الله .. أنكر الدهر وأبى ...

فإلى الإنسانة التي أحببتها أكثر من حياتي .. والتي قبست منها الصراحة والصدق .. وعلمتني كيف يكون الوفاء .. أبعث بهذا اللحن الشجي لأوجاعي .. •

سلام على ذكريات الوداع
وذاك الطريق وتلك البقاع
هناك تركت غرامي الضائع
ويجهل أنك لا ترجعين !

تناهبت قلباً كثير الجروح
بحب هناك لا يستريح
سأبقى أحن ويبقى بي
طويلاً طويلاً وما تسمعين

إليك إليك حنين الوفاء
ومنك وفيك عشقت الرجاء
كلانا يعاني ضروب الرثاء
وزيف الوداد ، وإثم الظنون !

وفي النفس عنك حديث يطول
ستفنى الحياة وما إن يزول
شجاك صداه قبيل الرحيل
وطاف بجفنيك قبل الشجون !

عشقتك الحياة بشتى الصعاب
ومثلي نفثت بقدر العذاب
وعشت وعشقي هموم الشباب
ومر العذاب ، وطول الحنين !

يؤرق عيني دمع الضجر
فألم حقاً عيد الأثر
لعنت الفؤاد به فاستمر
يئوم بعيد فهل تذكرين ؟

وحبك ملء للدنى والزمان
وملء الوجود ووسع المكان
وعمر الخلود وفوق الحنان
عميقاً عميقاً كثير الشئون !

يأس ووجد وليل وكوب
حيالي فؤادي فماذا تذوب
وهيهات ما الحب يغشى القلوب
سيبقى سعيراً بمر السنين !

وعشقك أنت وهذا القسم
سيبقى فؤادي يحب الألم
وتبقى حياتي كصورة العدم
يؤوب وعشت وما ترحمين !

سقاك الزمان بكأس دهاق
عذاباً بحب كثير الفراق
تعالي حنانك خبرت الرفاق
فهذي ذنوبي ، وهذا جنوني !

تعالي نعوض صروح الظلام
ونطلع هوى أمدته الظلام
سيبدو صباح يمحو الآثام
ونحيا بعيش يقيناً ضنين !

وداعاً سيبقى لحني الشريد
ترده شوقي بسر الخلود
ويجمع فيك طباع الجحود
ولا أرتجيك ولو تشفقين !

(بغداد) أنور الناصري

من الشعر الكويتي :

تحيـــة وابتهاج

[هذا شاعر كبير من شعراء الكويت ، قضى ما يزيد في عشرين عاماً في اندونيسيا ، ومرت به ظروف كثيرة اضطرته إلى الانقطاع عن أهله في الكويت بسبب الحرب العالمية الثانية ، ثم شاء القدر أن يلتئم العقد من جديد ، فعاد إلى وطنه الكويت ، بعث إليّ يقول : « .. وإني سيدي العزيز في هذه الأيام أعيش في جو من الشعر ! لا أدري ماهو !... وفي رأسي شعر وفي نفسي شعر وأمام عيني طيوف وأحلام !.. في روحي أشجان وأحزان وأفراح ومتناقضات !.. جسد محطم وروح عنيد ، وقلب خافق وشعر مني منظم !.. جلة تصطدم بها الأنوار والظلمات ، ولا أدري على أي صخرة أرتطم ، أو على أي ... النغم .. ! » أهدي إلى هذه ... وأقدمها لصفحات الثقافة القراء]

(المحــــرر)

منذ كنت أيام النوى أرعى الهوى
جمراً تأجج في فؤادي لهبهـــا

منذ كنت أسكب من دموعي أكؤسا
تسلي يفور بها الأسى متصببا

منذ كنت في جاوا الرتائب ألتقي الـ
ـمحزون شيئاً ألفته وغيبـــا

فإذا بأقدار السماء تعيـــــد لي
درباً إلى الوطن المقدس لاحبا

وإذا بأنوار تروح وتغتـــدي
بين الغيــــوم بها تراقصت الربا

وإذا بمعجزة الزمان تطير بي
ورياً فوق السحب تلهم الغيا

وإذا بأمواج الخليج تلوح لي
كالطــــيور تزخر بالنشيد المجتبى

وإذا الأحبـــة في الربوع تهافتت
أرواحهم ألــــقاً مشـيبا مطربا

فتعانقت أرواحنـــا وتزفت
قبل النحور بما أهاج وألهبـــا

فلكم سكبت من الدموع سحائبا
مذ جئت الشرقي تسير بها الصبا

يوم كأن به البرايا عوقبت
مرآة الأنوار في ظلل الصبا

فتكررت بالشيطان وانبلج الهوى
من جانبيه صرفاً وشهد واصطبى

وغدا الهوى في الروح شعلة عابد
في حق طهر الشوق لن يتهيبا

أرأيت يا أدب الكريم ترفقـــاً
قلبي بجنبيك الهـــوى متأوباً

وسناك من روحي نفس بصيرة الـ
ـروح العظيم لما بشعري شوّبا

أقبل لديك رســـالة عــاطرة
أزف بهـــا حملي إذا ما أشيـــا

محمود شوقي الأيوبي



طبع بمطبعة دائرة المطبوعات والنشر